المرايا وزهرة النار

شعر

تأليف : د . صابر عبد الدايم

تقديم : أ . د . عبد الحكيم حسان



١٩٨٨

أصوات معاصرة

العدد :

١٤١ - ديوان المرايا وزهرة النار

أسسها :

د. حسين عـــلى محمـــد

أبريل ١٩٨٠

مستشارو التحرير :

د. أحمــــــد زلـــــــط

بــــــــدر بــــــديـر

د. صـــــابر عبدالـــــدايم

محمــــد ســــعد بيــــومي

رئيس التحرير :

د. حســــين علـــي محمــــد

مدير التحرير :

مجــــــــدي جعفـــــــر

سكرتير التحرير :

فــرج مجاهــد عبــدالوهاب

المراسلات : مجدى محمود جعفر ـ ١٣ ش مدرسة التجارة ـ ديرب نجم، شرقية

موقعنا على الإنترنت :

http :// WWW. Aswat. ٤t. com /

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى رفاق دائرة الوجـــد

السائرين فى قافلة الغرباء

المحـــدقين فى كل المرايا

الباحثين عن الحرف الأخضر ..

... يعانق زهرة النار

صابر عبد الدايم

المرايا وزهرة النار

١

— صوت أول ..

• مراياك .. ما عدتُ أبصر فيها نجوم ارتحالى !!
وما عاد فيها يسافر برق اشتعالى !!
فكيف تكسَّرْتِ فى ناظريَّ ؟
وكيف انطفأتِ على ساعديَّ ؟
وكيف تجمدتِ فى خطواتى ؟
وكيف تبعثرتِ فى خطراتى ؟

وكنا على فرس الشعر نرحلُ ... نعبر فوق جسور البراءةِ ...

... نَدْخلُ فى صدر هذا الزمانِ ...

ننقب عن بؤرةِ للحنانِ

فكيف سقطتِ ؟

وكيف تواريت خلف الجبالِ ؟

كأنك شمس الغروب

تجدِّف فى الأفق لكن بلا ساعدين !!!

وفى لحظات انطفاء المصيرِ ...

تودِّع أحبابها ..

وترمى رؤاهم بألسنة من لهيبْ

وتغرس فى حدقات المحبين طعم هواها الغريبْ

... فهل تشرقين على أنفُس من طرازٍ جديدْ ؟

وتسقينهم سرَّ هذا الرحيل العنيدْ ؟

— صوت ثان ..

•• مراياىَ مازال فيها ضياء الهوى ... وشعاع الأريج

وفيها الحدائق تنبتُ من كل زوج بهيج

وتخضرُّ فيها الرؤى المثمراتُ وفيها تضوع المروجْ

وفيها ... الأعاصير .. فيها البراكين ...

... لكن بلا ذرةٍ من ضجيجْ

وما عنكَ أنأى .. وما منكَ أهربُ ...

لكن أغارُ ...

... ... فأغتالُ من يسرق العرش منّي

.. وحين تمدَّد فى صدرِكَ الخوفُ ...

... ضمَّ اشتهاءكَ ... فتّح ذاتكَ للرغباتِ ...

... وأطلق فيها صقورَ الهزيمة .. تصطاد حلم الطيورِ ...

... وتفتك بالأغنيات .. وتلتقط الأمنياتِ

... مناقيرها فى عيون الموانئ تطفئ فيك التوهج ...

... تسرقُ منك نواةَ التفرد .. تثقُب قلبكَ ...

... تنفث فيه السمومْ ... !!!!

... فكيف أحلِّقُ فى عالمٍ من دخانْ ؟

وكيف أشيِّد قصرك .. والحقل قد هجرته سيوف الأمانْ ؟!!

وكيف أسيِّر فوق صدور الجبال البحارْ ؟

وكيف تذوق المفازات طعم اخضرار البساتين ...

... تخرُج من ذلك الظمإ المستبدّ

وتصهل فيها الخيولُ

وتُورق فيها الطلولُ

ويَرْحَل عنها الأفولُ

... متى يا صديق ... ؟

متى عنك تخلع جلْد النمور

وترمى إلى النار فَرْو الثعالبْ ؟

وتنزع منك نيوب الذئاب

وترمى صقور الهزيمة . . إذْ حلّقت فى سماك بكل الحرابْ

... متى يا صديق ... ... ؟

سيَرْجعُ نبض المرايا إليكْ

ترفرف كل النبوءات . . كل الفنارات تَهْمى عليكْ

وتلْق الذى ضاع منك يغرد فى ناظريكْ

• ففّتش بذاتك عن زهرة النار ...

... تلق الحدائقَ تنبتُ بيْن يديكْ

مكة المكرمة ٨ من محرم سنة ١٤٠٦ هـ

٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٨٥ م

مهلا يا ســـيدتي

مهلا يا سيدتى (*)

مَهْلاً ياسيِّدتى

فالقاضى الجالسُ فى صدْرك لا يَنْوى قتلى

لكنك أصدَرْتِ الحكم بإعدامى

وأنا من نافذة الأسْوارِ المسجونة فيها مملكتى

أبْصرُ حُرَّاسَك من عينيكِ انطلقوا

وأرى مشنقتى

(*) نشرت بجريدة الأهرام المصرية فى ١٠ من ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ الموافق ٤ من سبتمبر سنة ١٩٨٤ م .

تتدلّى من سَقف تَواصُلنا

تتأرجَحُ فى ظلِ لهيب تفاعلنا

تنتظر الكائنَ يولد ... يطلعُ مكتملاً من ريح تزاوجنا

• • •

• فأنا لن أُذبَحَ الا بيديك ...

... ولن يَعرفَ أحدٌ لوْن دمائى !!!

لن أُدْفَن إلّا فى عينيك ...

... ولن يُدرِكَ أحد أين توارت أشلائى !.!

• وارتد الحراسُ وما شنقوا

وإذا الأسْوَارُ هباءٌ منثورٌ يحْترقُ

وإذا بى فى صَدْر الميدانِ أطير ... أحلّقُ ... أنطلقَ

الشمس بيمناى أشعتُها ...

... أسياف تتعانق والقلبُ لها ينشقُ

• • •

والقمر بُشرای بهجته الأضواء زهور تأتلقُ

• • •

• فالشاعر يا سيّدتى

فى أزمنة الجوع الكافر تطعمة كلماتُهْ

فى طغيان العصر الحجرىّ تجف الأنهارُ فتسقيه كلماتُهْ

حين يصير الموتُ هويّةَ كل العالم يأساً ...

... تحييه كلماتُهْ !!!

وإذا ركب الجمع جسورَ الخوف ...

... وعاشوا فى شرفاتِ الزيف ...

... تقتلُهُ كلماتُهْ !!!

وأنا يا سيّدتى

أسرجْتُ خيولِ الحرف ...

... امتشقت أو زانى السيْف

أردفْتك خلفى ...

... لم ينبتْ فى حقلى رؤاى الخوْف

أطعمتكِ من حقلى

رمّان الوصل ، وفاكهة الحب ، وقمح الودّ ...

... والبسنك أوراق التين ، وشارات الزيتون ...

... فصرتِ بعائلةِ الأشجارِ حديقة عشقٍ ...

... تفتحُ كتاب الخصبِ

... وتتلو آياتِ الأمطارْ

أسقيتُكِ من ينبوعي ...

... الفائرِ من تنورْ الأحزانْ

ما عصرُ القلب... وما سكبَ الشريانُ ، وما مزجتْ روحي...

... من عنبِ الشوقِ ..

... وورد القربِ ..

... وخمرُ الوجدِ ...

... فصرتِ بذاكرة البحر سفينة ضوءٍ ...

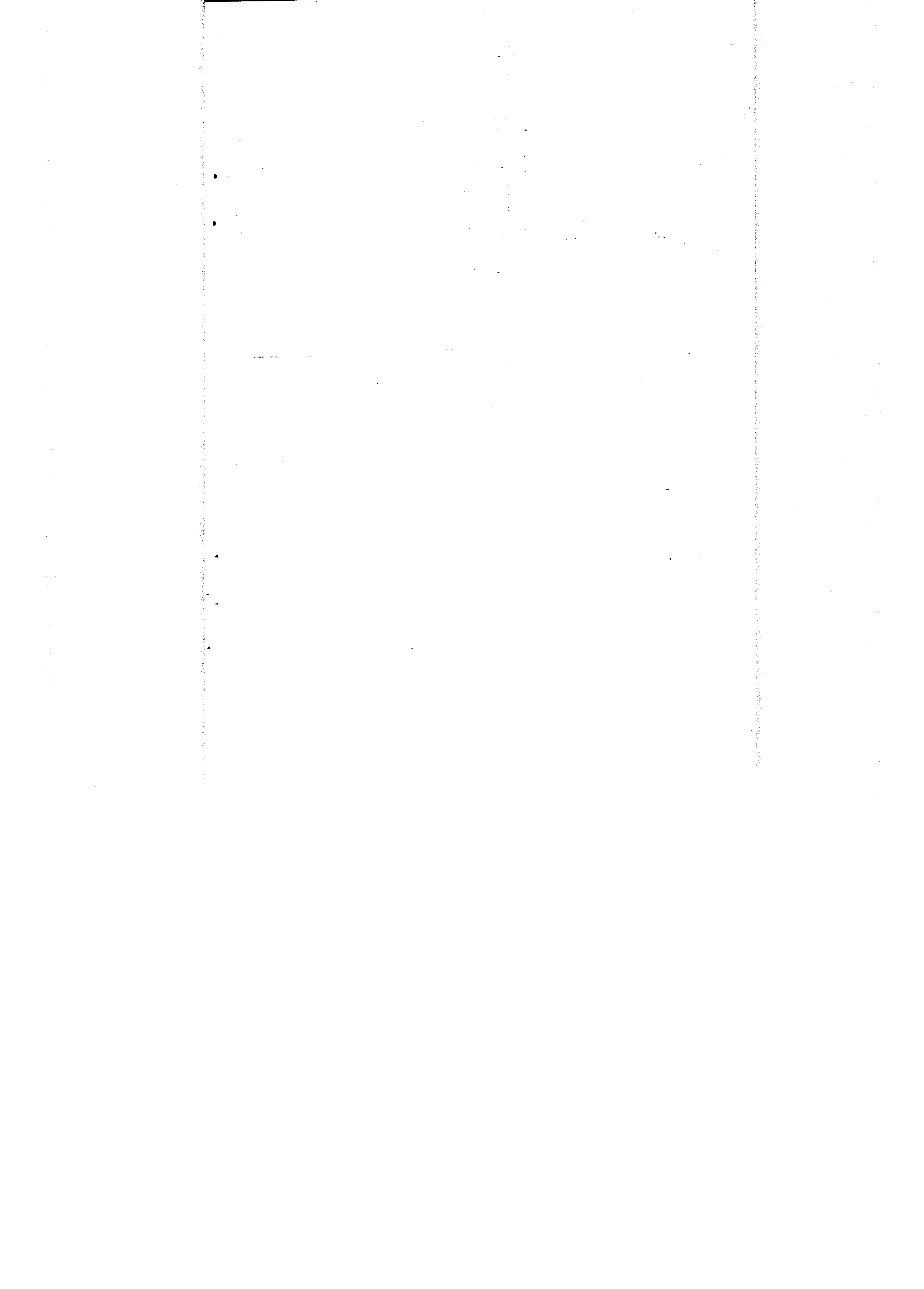
... تغزو أسوار الموج ..

... وتفتح مدنا ..

تتزاوج فيها الأغوار مع الأقمارْ ! ! !

والنور يعانق فيها النّارْ ! ! !

سباق



قلبي على الأسفلت يجرى

و يسابق العربات والأشجار والريح التى ...

... حملت إليك بذور عمرى

وأراك فى المرآة تجتازين ليل المنحنى

وتسابقين الشمس .. لا تقفين فى نقط المرور ...

... وتعبرين خنادق الطرقات ...

... لا تدرين أن القلب فى صدرى على الطرقات يجرى

أجرى .. وتجرين : الرياحُ أمامنا

والظل يلهث خلفنا

والكون يسجن فى الغروب وليس يشهد غير ضوء سباقنا

- سيارتى تعدو برغم إشارة حمراء قالت : قف هنا ! ! !

ومَرقْت لا أحنى خطاى إلى إشارات المرور ...

... كأن بى مس من الجن المغامر ..

... عرش بلقيس يحث خطاى ...

... من قبل ارتداد الطرف أحضره ...

لا تخذ الكواكب موطنا

وأصوغ من هوج الرياح مراكبا ومدائنا

- لكن أراك وقفت عند المنحنى

لم تعبرى السور الحديدىَّ الذى عاقت يداه سباقنا

لم تقفزى خلف الرياح وتصرعى ظل الثبات وتعبرى الأمنا

- عيناى راحلتان فى عينيك . . باحثتان عن ثمر السباق

عن بذرة الآتى على متن البروق يحط بين يديك أغنية انعتاق

• يأتى القطار من الجنوب إلى الشمال ...

... ونحن ننتظر انفراج السور ..

• ... نصنع من سباق الريح والأشجار والعربات ملحمة العناق

• فالكون غايته سباق

والبحر عندى المد طوفان ائتلاق

ورؤاه عند الجزر أكوان اشتياق

فى قلبه تغلى العناصر .. تولد الاضداد ...

... تكبر طفلة الأسرار ..

... تخرج باللآلىء من تجاويف الزمن

• والشمس تغرب فى الدماء

وتطل عين الكون من دمها ..

... إذا قدم النهار على يديه تموء أشلاء الظلام

• دمنا الوجود ..

... فكيف نلعن فى مرايانا صداه ... ؟

... وكيف وجه الورد يشربه ... ؟

... وكيف نصوغ من أوتاره لحن الفنار ؟

• والسور يرفع ..

... والقطار يدوس ظل الواقفين !!!

القطار

يدوس ظل الواقفين !!!

السعودية « جريدة الرياض »   ٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

٢٧ من يناير سنة ١٩٨٥ م

منْ فتوحات الغربة

من فتوحات الغربة (*)

« والليل وما وسق »

والقمر إذا ما اتسق

إنى راكب طبقًا عن طبق

راحل فى زمان القلق

قادم من عصور الترق

هابط فى انحدار الألق

صاعد فى انطفاء الأفق

(*) نشرت بمجلة القافلة الجديدة – المصرية عدد يناير سنة ١٩٨٥م .

ممتــط صهوة الشمس لم أحترق

واحتراق انطلاق من الأسر فى عالم يختنق

واتحادى مع الشمس عصر من الطهر يبزغ من بشريات الشفق

• فامنحينى البراءة حتى أعود إليك ...

.. على شفتىَّ الغنــاءُ ...

... وفى مقلتىَّ الرجاءُ ...

... وفى ساعدىَّ الضياءَ ...

... وفى قــدمىَّ الرخاءُ ...

... ولا تسألينى .. ...

... لمــاذا انصهرتَ بنــار الشموس ...

... فقد علمتنى دروبُك ...

... أن الخديعة لبُّ الذكاء ...

... وأن التحايُل ظلّ الثراء ...

... وأن التّسلّط حصنُ الإباء ...

... وأن المروءة أفق الغباء ...

... وأن التكاشف طفْل الهباء ...

... وأن القَـوِىَّ الذى يتخطى الرقاب ...

... وأن لشريفَ الذى فى يديه الحراب ...

... ومهما يُكَسِّرُ كل المرايا ... ...

... ويسرق ضوء المنارات فهو المجاب ...

... ومهما يجدِّفُ فى المخزياتِ فليس يعاب ...

... وما زال سيف على وِجْهتى يشحذ العادياتِ ...

— لمـاذا أدرت لكل الأحبة ظهركَ ...

... — قد سلبونى الأمانَ ... ... !!!

... — فهـل أتحوَّل فى يدهم العبانَ ؟ ...

... — ألم تعطهم أنت صكَّ المكان ؟ ...

... ألم تَرْضَ أنْ يخطفوا منك خيل الرهان ؟ ...

... — ولكننى ما امتطيت الجـواد الجبـان !!! ...

... وهم أوغلوا في احتراف الخديعة والعنفوان ...

... فلا تسأليني ...

... لماذا غضبت وسافَرْتَ في سُنبلات الزمان ؟! ...

... ففي نَهرِكِ الحلو تَنْمو وتنضج كل ثمار الزمان القبيح ...

... وفي حقلك الخصْب يهتز ذَيْل الفحيح ...

... وأبصر في خطوك المتثاقل ظلّ الضريح ...

... وفي القلب طفل المحبة ...

... يحمل طوق النجاة لعصر ذبيح ...

... فلا تخمدي في كياني اشتعال الجموح ...

... ولا تطفئي في رؤاى شرار الطموح ...

... ولا تبذري السم في قاع نهر الجروح ...

... فإني فتقت كنوز الجبال ...

... ولن تشتريني ورود السفوح ...

... وإن دمائى بها يَتَخَلَّق عَصْر الفتوح ...

... ومن رحم العشق تولَدُ أحلى المدائن أندى الصُّروح

مكة المكرمة ١٨ من ذى القعدة ١٤٠٤ هـ

١٥ من أغسطس سنة ١٩٨٤ م

الشهيـــد

أيُّها الطّالعُ مِنْ أفقِ التّواريخِ المجيدَهْ

بورِكَتْ تلكَ الرصاصاتُ العنيدهْ

إنّها اجتاحتْ جدارَ اليأسِ فينا

والإراداتِ البليــدهْ

أيقظَتْ فينا شرايينَ التّحدي

وأعادتنا إلى الأرضِ جديدهْ

* * *

• هذه الأرض ... على زندَيك تهتزّ ...

... وفى عينَيك تمتـــدّ ..

.. وفى كفّيك تربـــو ..

وبصدرِ المدفع الرشّاش يغدو الحقل موّارا ...

... بآلاف الرجال الخضر .. يلقُـون ثمـار العزم ..

... فى وجه المغيرين .. شظايا ... ولهيبا ... ودمارا

• إنّها الطير الأبابيل عليهم ... صبّت النارَ...

... أحالت ... كل أوهام المغيرين غُبارا

• • •

• يا سليمان أقبلتَ مع الطّير وشاهدتَ مواويل الحيارى ؟

أحرفاً مكسُورة الإيقاع ...

.. فى دوّامة العصر ... وفى وجه الزمان ـ الصّخرِ ـ مازالت تدُورْ

ودواوين ... أضاعُوها على كل الجسُورْ !!!

يعثرُوها فى سراديب اللغـات !!!

أطعموا الحيتان منها والصقور !!!

صنعوا منها روايات ... وأسمارا ... وأعواد بخور !!!

* * *

وإلينا جئت من ذاكرة النار دما تسكن فيه كربلاء

جئت فى عصر به سيان ... لون الورد أو لون الدماء

جئتنا فى زمن الرعب ... وأطلقت رصاص البدء ...

... فانجابت سحابات الحكاية

فامتط الآن جواد الريح ... واعبر حاجز التيه ...

... وهدم كل أسوار الوصاية

أنت لن تغدو فصلا فى متاهات الرواية

أنت حد السيف لايدرك إلا لغة العدل و إشراق النهاية

* * *

• طائر النار يوافيكَ بأصداء افتراءات الرفاق الحادمين !!!

علَّقوا تاريخك الأبيض فى نافذة السجن وقالوا :

شَـنق المجـرمُ نَفْسَهْ !!!

عانق المجْنون يأسَـهْ !!!

إنّما الشَّيْطَانُ مَسّهْ

• رأنا ألقـاك حيًّا ... فى كتاب الرّفْض ... فى أفْق التحدِّى ...

... لهبٌ يغْزو انطفاءات العصورْ

لستَ إلا البَرْق ... إلا الرَّعْدَ ... إلا السيْفَ ...

... فى ليل كموج البحْر يلق زَبَد اليأس وحيتان الهمومْ !!!

• • •

• نارك الخضراءُ يابن النيل هل تسق خُطانا اليابساتْ ؟

هَلْ بوادى عُمْرنا المجْدب تجْرى فَيْض آلاف العيون الجاريات ؟

هَلْ يُفَكُّ القَيْدُ عن أعْيننا ؟ هلْ تركُضُ الخيلُ وتغْتال السُّبَاتْ ؟

• هل نرى الأشجار تمشى ... فوق صَدْر الراسياتْ

ياسليمان... لقد عاد إليك الهدهد الهارب ينبيك بأضواء اليقين

« إن هذا الشجر الأخضر نارٌ وسيوف ... ودماءٌ وأنينْ

ليس فيه المنّ والسلوى ... ولكن خلفه ذُلُّ السنينْ

هكذا قيل ... لم نأبَهْ بما قالته زَرْقاء اليمامهْ .

فإذا الأشجار فرسانٌ وأسياف وخيلٌ واغتصابْ ! ! !

وإذا الظل لهيبٌ والحُقُول الخُضْر قفرٌ ويبابْ !

والأباةُ الصِّيدُ خَلْفَ السُّور تستافُ العذابْ

ونداءُ الحقِّ مدفُون بأضلاع المآذِنْ

واليهودُ المجـرمونْ

يحرقون المسجدَ الأقصى وفيه يرقُصُونْ

وثقيفٌ تغْمد السيف بأضلاع هوازنْ

... ويعود الشَّجَر الأخْضر يسعى ...

قادماً فى مأتم الشمس وأشباح الغروبْ

وعليه يتبارى المُسْلمونْ ! ! !

وهو مشحون بألوان السّمومْ ! ! !

وتعود النارُ فى ثوبٍ جديدْ

وتهز الأَرْض صَيْحات الشهيدْ

يشعل النار على كل الحُدُودْ

يحرق الأشجار . . يلقى فى لظاها كُلّ أشلاء القيودْ

ه هكذا من شُرْفة العرش يوافينا سليمان الحكيمْ

طائر النار إليه . . يحمل الثأر القديمْ

« قال عفريتٌ من الجنِّ أنا آتيك » بالعَرْش السليبْ

قبل أنْ يرتدّ طَرْفُكْ

واندفاعاتُ الرصاصات تُجيبْ

تنقذ العرش من الجنّ الغريبْ

وملوك الجن تبنى . . لسليمان الحكيم

ما يشاء — من قلاع وحصون . .

« وجفانٍ كالجواب . . وقدورٍ راسيات »

والشياطين يغوصون بأعماق البحورْ

وسليمان على الشاطئ يحمى ما عليه من جنان وثغورْ

إنه الملك الذى شادته أنيابُ النسورْ

فامتط الآن جواد الريح . . واعْبرُ حاجز التيه . . وهدِّم كل أسوار الوصاية

أنت لن تغدُوَ فصْلا فى متاهاتِ الرواية

أنت حَدُّ السيف . . لايتقن إلَّا لغة العدْل و إشْرَاق النِّهايةَ

مكة المكرمة ١١ يناير سنة ١٩٨٦ م
١ من جمادى الأول ١٤٠٦ هـ

التائه

التائه (*)

فى دمى يغرق تاريخ بلادى ! ! !

فى دمى تحرق غابات عنادى

فى دمى تركض أشلاء جيادى

والرصاصاتِ تنادى

قف مكانكْ ! ! !

لا تحرّك بالمنى إلا لسانَكْ

هل تريد النار تجتاح زمانَكْ

قف مكانَكْ ! ! !

(*) نشرت بمجلة : أصوات « ومجلة ينابيع » بمصر عام ١٩٨٣ م

- وأنا أشهد صوت الجد فى قلب المنارات القديمة

سأحمل روحى على راحتى

وألقى بهـا فى خضم الردى

فإما حياة تسر الصديق

وإما ممـات يغيظ العدا (١)

- أشعل النار فلا ألقى سوى أصداء ليلات مضيئة

كانت الصحراء جنات وضيئة

كان صوت النجدة الأخضر يأتينى نديا

وداع دعا بعـد الهدو كأنمـا

يقاتل أهـوال السرى وتقاتله

دعا يائساً شبه الجنون وما به

جنون ولكن كيد أمر يحاوله (٢)

- أشعل النار بعمرى

---

(١) هذان البيتان للشاعر الفلسطينى : عبد الرحيم محمود .

(٢) هذان البيتان للشاعر العربى : حاتم الطائى .

وقطارات المروبه

لا ترى نار المنارات ولا تلوى على شيء سوى إطفاء نيران النجاه

سارق القضبان قد أسكرهم فاحترقوا ثم تولوا ... ...

... فإذا أهل المنارات الجناة

وأنا أُشعل فى وجه بلادى ..

لهب الريح ... وفوق الريح أسرى

باحثاً فى عَلَب السامة عن وجه الهُويّة

راحلا فى ثورة الرفض وفى أفق الأمانى

فى بحور الشعر فى زيت الفنارات القصية

فى متاهات القوافى

فى اندلاع الذات ... فى لفح الأغانى

فى البشارات — النبوءات — «ودرويش»[1] انفجار خلف جدران القضية

وطنى : يعلمنى حديدُ سلاسلى

عنفَ النسور ورقة المتفائلِ

(١) الشاعر الفلسطينى : محمود درويش ، والبيتان التاليان من شعره .

ما كنت أعرف أن تحت جلودنا

ميلادَ عاصفةٍ وعُرْسَ جداولِ

- أشعل النار على كل الحُدُودْ

باحثا عن أوّل القيدِ ...

... وعن نافذة تدخل منها ثلة الشمس وأسراب الرعودْ

وأنا آكل بَعْضى

كلما أشعلت نارى

سرقــوا الضــوء ولم يَـبْزُغ قــرارى

جرّدونى من ســلاحى طردونى من كفاحى !!!

واجهونى بجــراحى حاصرونى بــرماحى

- وأنا الآن غريق فى نهارى

بيمـيـنى البنـدقيّـهْ وبعيــنىّ القضــيّهْ

وأمامى ظل أطفالى منارى

لم أعد أعرف جارى

• فقديماً عبروا العصر إلى شط نزار ... ومعدّ

... وعلى النجم أقاموا فى اقتدار

• أشعل النار بجيرانى و إخوانى ... ...

... فهم قد أحرقوا عمرى ودارى

أعبر النار إلى شط النهار

أحفر الآن براكين انتصارى

إنهم قد دخلوا المسجد فى أوّل مره

لن يعودوا ... لن يعودوا

فأنا العائد من أزمنة النفى ...

.. على كفّى أطفالى وفى عينىّ ثوره

عائدٌ من ظلمة التيه ..

... ولى بين ضياعى ووجودى ألف كرّه

عائدٌ ...

... فوق جواد البرق في ضوء الرعودْ

عائدٌ ... ..

... أصنع تاريخي ..

... وأهدي ولدي الضائعَ عُمْرَهْ

عائدٌ ..

.. أكتسح الليلَ ...

.. وأبني للغد التائه بَجْرَهْ

الزقازيق ١٩٨٣ م

الظل المضيء

الظـل المضىء (*)

كان فى قِمّته ظلّاً مضيئا

كان فى غَضْبته طفلاً بريئا

كان فى حَقْل المروءاتِ لنا كنزاً خبيئا

• • •

...

• كان جذْع النخلة القمراء هَزَّتْه العذارى

(*) نشرت بمجلة الهلال بمصر . مايو ١٩٨٤م

فاستدار العودُ . . والحَظُّ أنارا

من ميراثُ زَمانٍ سرق العمْر وطارا

لم يَدَعْ فى بَيْته إلا حكاياتِ حيارى ! ! !

...

* * *

* كان حقل الحب للأطفال . . فيه يكبرون

وحواليه يغنّون

وعلى أغصانه كانوا صباحاً يلعبونْ

كالعصافير ... على سَاقيهْ كانُوا يقفزونْ

* كانْ ... يا ما كانْ ...

كانَ نبضاً . . نسجَ الصِّدْق مرَايا لأمانى المتعبينْ

كان ضوءاً ... هَبَّ من كل الزَّوايا . . حاملاً عطر الحنينْ

الزقازيق — مايو — ١٩٨٣

كان قَلباً ... ملءُ الكون تحايا ... وهو نهبٌ للسنينْ ! ! !

• كان يا ما كانَ ... لكنْ ...

غاب عنا صَوْتُه ذَاتَ مساءْ

غاب عنا في غُروب الشمس . . في تيه الفضاءْ

رحلت عنّا . . مراياه ... زواياه ... تحاياه ...

.. وما عادت سوى ذكرى وأشلاء ضياءْ ! ! !

قافلة الغرباء

قافلة الغرباء (*)

أحمل في شرياني الحبَّ . . أجئ إليك على استحياءْ

يا من أشرقت علينا بشريعتك الغرّاءْ

أهواك . . فأنت سقيت كياني معنى البوح وسرّ الإفضاءْ

ألهمني سرَّ الوجد فأنت بأرض العشاق سماءْ

وأراك أتيت إلى العالم في قافلة الغرباءْ

ولأنك أدركت الجوهر في عُمق الأشياءْ

وتساقيت رحيق الحق من العلياءْ

(*) نشرت بجريدة الندوة السعودية في ٢٦ من ربيع الأول سنة ١٤٠٦ هـ

صارت خطواتك فوق الأرض ضياءْ

صارت كلماتك آفاقا تبزغ منها أحلام الشرفاءْ

وإذا أبواب الجنة — أبوابك تفتح للفقراءْ

والعالم سيق إليها زُمَرًا تغمده الآلاءْ

لم توصَدْ أبوابك إلَّا فى وجه الشعراءْ

• فالشعراء تراموا بنبال الحرف العمْياءْ

واقتتلوا فى ساحات الكلمات الجوفاءْ

« يلقون السَّمْع وأكثرهم » مدَّاح هجَّاءْ ! ! !

وتهاووْا . . كل مغروس فى عينيه سهام رياءْ

وعلى الأرض قوافيهم برزت كالأحشاء ! ! !

ما وهبت للعالم كل بحورهم قطرة ماءْ ! ! !

وسفائنهم فى الزيف تجدِّف فالدينار هو الميناءْ

• • •

« ما يأتيهمْ من ذِكْرٍ من ربِّهمْ » وَضَّاءْ ...

... « إلا استمعوه وَهُمْ » والصَّخْرُ سَوَاءْ

•

• وجوادُ الشعر يسابق ظل الريح بقلب البيداءْ

لكن يكبو ويخرُّ غريقاً فى كأس الندماءْ

تشرب من دمه الأسماع فتغدو أحجاراً صماءْ ! ! !

وتُحدِّق فى أطلال بقاياه الأعْيُنُ وهى حُروفٌ بكماءْ

فالشاعر تصنعه فى عالمنا رغباتُ بَلْهاءْ

والشاعر إذْ يصْدُق تقتله كلماتُ السفهاءْ ! ! !

والشاعر إذْ يشرق تخنقه ظلماتُ الجهلاءْ ! ! !

والشاعر إذْ يسبح تبلعه حيتانُ البلهاءْ ! ! !

والشاعر إذ يتمرَّدُ يُسْجَنُ فى قافيةُ الجبناءْ ! ! !

• • •

والشاعر عندك . . يا من جئت بملتك السمحاء ..

... حطابٌ يحمل فأساً في الصحراء

يجرى فيها الأنهارَ ... وينسجُ للعريان كساء

والشاعر سلطانٌ ...

... يحمل فوق الظهر إلى الأطفال غذاء

سيفٌ مسلولٌ في وجه الأقذاء

قلبٌ بأذان الحقِّ خفوقٌ يورقَ بالأمل الوضّاء

لا يحرقه الجمرُ الملقى فوق الأنداء

والشاعر صدِّيقٌ ...

... ينزعُ سيف الردّة من ظلّ الأعداء

يجعل مُلْكَ المتنبيِّ في طوفان الريح هباء

ويطارد جيش مسيلمة الكذاب بكل الأجواء

من فوّهة الموت يجيء . . يشيِّدُ ملحمة الشهداء

ويقيم من الجنث العابرة زمان الوهم جُسُورَ بقاء

يصرع جبل الباطل يجعله سفحاً من أشلاء

يَمْسَخُ شيطان النقمة . . يجعله بَعْضَ دماءْ

والشاعر كَوْن مَفْتُوحُ ... ينبت فى خُضْرَته البسطاءْ

الشاعر كَنْزُ نبوءاتٍ لايدركها إلَّا من يقتحم الأَرْجاءْ

هلْ يفهم هذا الشعراءْ ؟

هلْ يفهم هذا الشعراءْ ؟

الزقازيق — غرة ربيع الأول سنة ١٤٠٣ هـ

١٦ من ديسمبر سنة ١٩٨٢ م

الجبـــل

الجبــل (*)

[في مكة ... كانت الرحلة بلا غيوم

والراسيات تعانق أعلام النجوم

ومن شرايين الصخر تتفجر أنهار الضياء

« وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب »

أنِّي أسـيرٌ يضمُّني الجبـلُ فكأنني في الصَّخْـر أرتحـلُ

من كلِّ زاوية مـلامحُـه تبدو .. وفي الأجْواء تَنْتقلُ

(*) فازت هذه القصيدة بجائزة الشعر الأولى في المسابقة التي أقامها نادي القصيم الأدبي بالسعودية سنة ١٤٠٥ هـ

(*) نشرت بجريدة : الندوة » السعودية .

و نشرت بمجلة القافلة المصرية عدد سبتمبر سنة ١٩٨٥ م

فكأنه عين الوجود إلى ... قلب الخفايا نحوها يصلُ
حمل العصورَ الشمّ كاهله ... وهو الفتيّ .. وليس يكتهلُ
متجهم جرداء قمته ... لكنه بالخير يشتملُ
مُدّت إلى الغيمات راحته ... فإذا بجرح الكون يندملُ
وإذا العوالم من بحيرته ... يُسقون فيض العز إذ نهلوا
قدم الرضيع تهز جبهته ... فإذا به للطفل يمتثلُ
وإذا بعين الحب مشرقة ... والأم يهجر قلبها الوجلُ
وإذا الطيور على مباسمها ... تضوى الأغانى وهى ترتجلُ
وإذا الوجودُ الطفلُ تحضنه ... أم القرى ... ويكبر الجبلُ
أنشودة التوحيد منطقه ... وعليه من لألائها حُللُ
دعوات إبراهيم صاعدةٌ ... فإذا الصحارى وجهها خضلُ
وحراء تنبع فى تماوجه ... الأرضُ بالعلياء تتصلُ
صخر ومنه تفجرت شهبٌ ... ولها بكل منارة شُعَلُ
« إقرأ تعالى الله قائلها » ... فإذا الجبال الشمّ تبتهلُ
وكأن زمزم منه قد سُقيت ... والعالمون لسرها ارتحلوا

فهي الأمان لأمـة غرقتْ ... ولكل من ضاقتْ به السبلُ

والأمـة الحـيرى مُمـزَّقةٌ ... تسعى ولكن سَعْيُها فَشـلُ!!!

لم تصَفُ أنهـار الحياة بهـا ... فحقولهـا ينمو بهـا الكَلَلُ!!!

ما شاده الأمجـاد قد وأدتْ ... و بدتْ كأن جديدها طَلَلُ

جبلان تسعى الدَّهْرَ بينهمـا ... لم تَدْر كيف السعى والعملُ!!!

والأمنيات إلى مـنّى سبقتْ ... والقلب تَسْبِقُ نَبْضَه المقَـلُ

فهنـا الجبـال تخلّقتْ شرراً ... فهـل الرماةُ لبَغْيهم قتَـلُوا ؟

هـل يرجـون الإثم فى زمنٍ ... الآثمـون به .. هـمُ المثلَ؟!!!

أم يرجـون الكفْر فى زمنٍ ... الكافرون لسيفهم صقـلوا؟!!!

أم يرجون الخُلْف بينَهُـمْ ؟ ... وقـلوبهُمْ تَغْـلي وتقتتـلُ !!!

صاروا قبـائل ما وعتْ نسباً ... بدم الشهيد تظلُّ تغتسـلُ !!!

هـذى حدودهُمُ قد اشتعلتْ ... والنار شـيطانٌ له حِيَـلُ

هل يرجون الجوعَ فى غدهم؟ ... والسارقون لكَنْزهم وصـلوا !!!

أم يرجون الحقْـدَ بينَهُـمُ ؟ ... والحاقدون بذاتهـم دخلوا !!!

أم يرجمون الجدب فى زمن — المجدبون هم . . . وقد كسلوا !!!

لم يقطفوا الأسرار إذ بزغت — توحى إليهم أنهم رجل

عرفات عرّفهم مسالكهم — فالكل قلب صارم وجل

رحم الوجود هنا قد ائتلفت — والرحمة الكبرى هنا جبل

وهنا خطى المختار قد خطرت — فاخضر فى أرواحنا الأمل

وهج الوداع حروفه أنق — أحيا الوجود فما به علل

من كل فج أقبلت زمر — وقلوبها لله تبتهل

لبت نداء الحق ضارعة — فسمت وعنها قد نأى الزلل

الطائفون . . الراكعون هم — ليسوا بغير الله قد شغلوا

* * *

ألفوا بظل البيت أمنهم — فسنته من أشواقهم قبل

وإذا الوجـودُ الطفلُ نحضُنُه أمَّ القُرى . . ويكبر الجبلُ

أنشُـودَة التّوْحيـد مَنْطِقُـهُ وعليه من لألائهـا حُلَلُ

[مكة المكرمة في ١٦ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

٦ من فبراير سنة ١٩٨٥ م

الأزهر والطوفان

الأزهر والطوفان (*)

علمُ الكنانةِ فى وجودِك يخفقُ ... وَرؤى الخلودِ على جبينكَ تشرقُ

وجلالُكَ الوضَّاءُ فى آفاقِنا ... عبرَ العصورِ على المدى .. يتألَّقُ

يا أزهرَ الدنيا .. بنورِك أَزْهَرَتْ ... مُهَجُ الليالى والبوادِى تُورقُ

من ألفِ عامٍ فَيْضُ ذَاتِكَ مائجٌ ... وبكلِ عصرٍ ضوءُكَ يَتَدَفَّقُ

ما أنت مئذنةٌ ... وصرحٌ شامخٌ ... بل أنتَ هَدْىٌ فى القلوبِ مُعَلَّقُ

أنت انطلاقُ الروحِ من أغلالِها ... أنت الأَمانُ بكلِ نفسٍ يَبْرُقُ

* * *

أنت الأذانُ ... وأنت .. أنت شهادة التوحيد فى قلب الرايا تَعْبَقُ

(*) نشرت بمجلة كلية اللغة العربية العدد الثانى سنة ١٩٨٤ م .

أنت الزمانُ يجدُّ فى خُطُواته | وخُطاه تضوى كالبروق وتسبقُ

• • •

من جوهر الإيمان شادك جوهرٌ | فإذا بضوئك بالحقيقة ينطقُ
شدُّوا الرحالَ وأنتَ قبلةَ عاشقٍ | لنفائس العلم الفريدةِ يعشقُ
عادُوا . . وبرق العلم فى أيديهمُ | والحق فى آفاقهم .. يترقرقُ
فإذا الجهالاتُ الكثيفةُ ترتمى | فى مغرب الآفاق وهى تمزّقُ
ومشى ضياؤكَ فى ظلام كياننا | فإذا الأمانى فى الحياة تحققُ
أعلامك الغرُّ الميامنُ التقوْا | فى ساحةٍ . . . العلمُ فيها الفيلقُ
يسقون من وهج العقيدةِ فتيةً | أرواحهم لربا العُلا تتشوّقُ

• • •

يا أزهر الدنيا . . . نورك أزهرتْ | مهج الليالى . . والبوادى تورقُ
فى قلب مصر . . تظلُّ نبضًا ثائرًا | لا يستكينُ لمن يجور . . . ويحنقُ

لغة السيوف لديكَ أصدقُ حُجَّةٍ ... إن ضاعَ عَهْدٌ.. أو تبدَّلَ مَوْثِقُ

وغدرتَ بركانًا تفجَّرَ بالغلى ... في جَوْفِه يَهْوِي المُضِلُّ ويَغْرَقُ

كالبحر أنتَ.. لفظْتَ كُلَّ مخاتلٍ ... فإذا به فوقَ الشواطئِ... ينفُقُ

المعتدون عليكَ .. صاحَ خيالُهم ... أخْنَى على مصرَ الجمودُ المطبِقُ

فسموا.. يقودُهُمُ الغرورُ لحتفِهم ... ركبوا المحيطَ وفي جدارِكَ عُلِّقوا !!!

وطئت ثراكَ خُيولُهم .. فإذا بهم ... في كل زاويةٍ رَمَادٌ ... يُحْرَقُ

بقذائف الإيمان جُنْدُكَ حاربوا ... وبصيحة التوحيدِ خَصْمُكَ يُصْعَقُ

فكأنَّ صحنَكَ للمغيرِ مَتاحةٌ ... وعلى النوافذ كُلُّ عادٍ يُشْنَقُ

هذا عرابي من لهيبِكَ جذوةٌ ... زحفت تَصُدُّ المعتدين وتحرقُ

صاحت أمامَ الحاكمين.. فألجموا !!! وسمت بحقِ المعْدَمين فصَفَّقُوا

لسنا عبيدًا فالسيادةُ ديننا ... والعَبْدُ في ظل العقيدة يَعْتَقُ

هذي ثمارُكَ في الورى ... حريةٌ ... بيضاءُ في فِكْرِ الوُجُودِ تُحَلِّقُ

زغلول منها نَفْحَةٌ مصريةٌ ... في عطرها آدا الزمان ... يحدِّقُ

هبَّت على الأعداء وهي جهنَّمٌ ... فإذا العَدُوُّ وقودُها المتحرِّقُ

* * *

* يا أيها المعمور ... هذى قصةٌ يُروى .. فأنتَ الآن ظلٌّ مُرْهَقُ ! ! !

يذوى ضياكَ .. ونحن جُنْدك لم يَعُدْ فينا سليمانُ الأبىُّ .. الأَصْدَقُ ! ! !

بيديك قد كانت مقاليدُ الأمو ر فأين منك اليوم هذا الرونَقُ ؟

يصغى لك السلطان وهو متوَّجٌ واليوم جيدك بالقيود مُطَوَّقُ ! ! !

قد كان تاجُك فى الوجود حمِيةً لله .. مادام الورى ...لا تَخْلَقُ

أين الجلال اليوم ؟ أين أئمةٌ من ضَوْءما نطقوا... أطَلَّ المشرقُ ؟

هل عاد صوتُك فى الوجود بلا صدًى ؟ هل غاب أم خلف المطامع يُخْنَقُ ؟

* **

ياأزهرالدنيا ... بنورك أزهرت مهج الليالى والبوادى تورقُ

قد ضُمَّ طوفان الجهالة فاصنع الـ .. ـفُلْكَ التى فى مدِّه لا تَغْرَقُ

تجرى .. وباسم الله مَجْرِيها ومُرْ ساها وليْسَتْ من مُغِيرٍ تُخْرَقُ

ريح الضلالة لا تهز مسارها فشراعها الإيمانُ ...لا يَتَمَزَّقُ

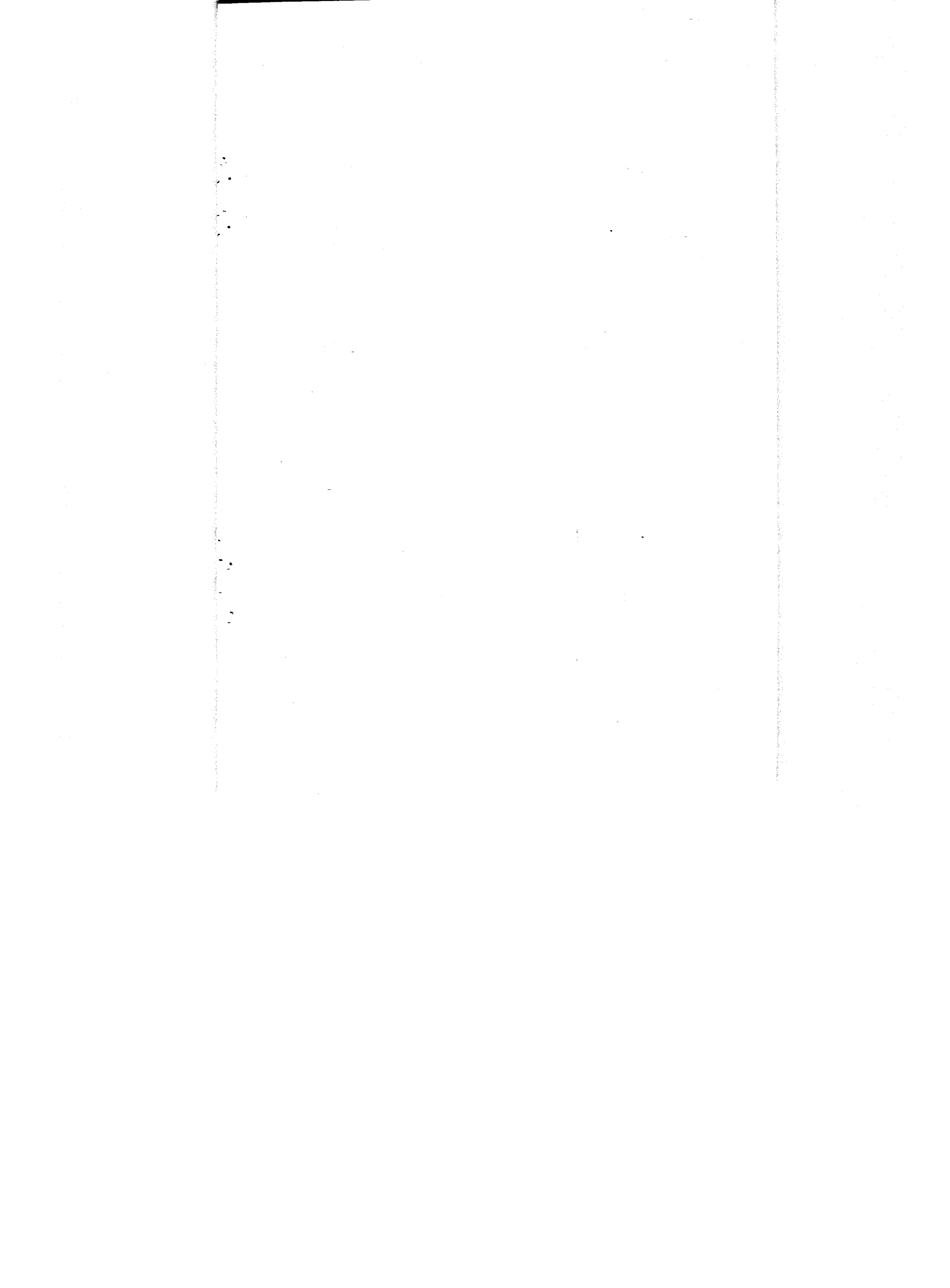
يــدْيك دفْئــا ومرفأ أمْنهــا   فاعْبر . فمثلك قائدٌ ... لايُسْبقُ

ما أنت مئذنةٌ .. وصرح شامخٌ   بل أنت هَدْيٌ في القلوب معلّقُ

أنت الأذانُ . . وأنتَ أنتَ شهادةُ التوحيد في قلب البرايا ... تعبقُ

الزقازيق يناير سنة ١٩٨٣ م

الغـــريق



الغـــريق (*)

نضب المعينُ ولم تعـدْ إلا بقايا من سرابْ

قد كان بحـراً من حنانٍ ثم جففه العذابْ

قد كان شاطئه الأمان وعاد يسبح في اكتئابْ

لم يدْر ما لون الصباح ولا المساء ولا السحابْ

فالصـــبحُ ...

... مرآة تكسر ضـوءُها فوق الهضابْ

والليـــلُ ...

... نايٌ شاحب الأنغـام مشلول الربابْ

(*) نشرت بجريدة الشرق الأوسط في ١٩٨٥/٤/٩ م

والأفـــق ...

... غاباتٌ مِن الأوهام تَسْكنها الرغابْ

وأنا الغريقُ ...

... وليس مـــوجٌ أو شراع أو صحابْ !!!

فالمـــوجُ ...

... ذكرى أبحـرت نحو القـرار بلا إيابْ

والريـــح ...

... تبتـــلع الشراع فإذ به مثـــل الترابْ

والصحبُ ...

... أين الصحبُ ؟ فى عصف الرياح همُ الذئابْ !!!

قالـــوا ...

... يضَــيِّعُ نفسه من لم يَسِرْ وسْط الركابْ

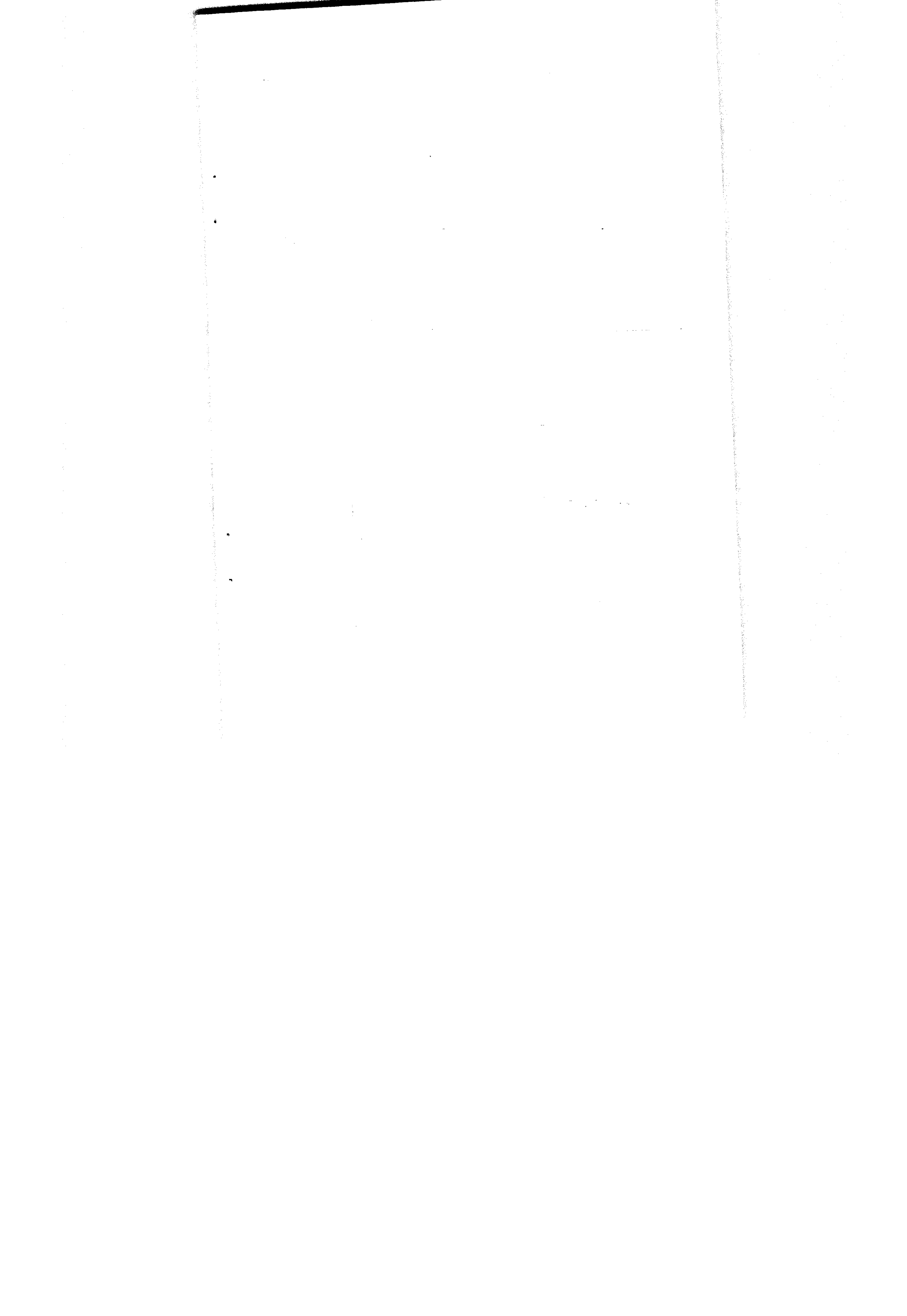
ورؤى الوجود العذب عن دنيا خطاهم فى غيابْ

وكأنني ما كنت فيهـــم غيرَ لمحٍ من ضـبابْ

فأنا الغريق . . وليس موجٌ أو شراع أو صحابْ !!!

مكة المكرمة فى ٥ من جمادى الأولى سنة ١٤٠٥ هـ

٢٦ من يناير سنة ١٩٨٥ م



الطــريق

الطـــريق (*)

... ولمّـا رأتني شريد الخيالْ   وفي لجة الفكر ... قلبي غريقْ

دَعَتْني ... وألقت على السؤالْ   أما زلت تخشى انْطفاء البريقْ

تبث الظلال ... وتجني الزوالْ !!   وتُحْرم حتى طيوف الرَّحيقْ

فقلت :

دَعيـــني ... فإن المحـالْ   يَسُـــدُّ أمامِيَ كلَّ طـريقْ

فقــالتْ :

نجوم الهـــوى في سمـاكْ   تضيء ... وتبسُمُ في خاطـركْ

وفي الشـوق تجمر دنيا هواكْ   ويُزْهر أمسـك في حاضركْ

(*) نشرت بجريدة الشرق الأوسط في صفر ١٤٠٦
ونشرت بمجلة المنهل بالسعودية في جمادى الثانية ١٤٠٦ هـ

وتمتصُّ زهر المنى شفتاكْ ويرقص قلبك فى ناظرِكْ

فقلتُ : اسأليني ...

لماذا أراكْ تئنُّ ... وتضحك فى ظاهرِكْ

• فقالتْ :

وما السرُّ ...

قلت اتركيني فزورق قلبي بغير شراعْ

إلى شاطىء السحر ألقى حنيني فأقطف منه ثمار الضياعْ

وحين ألوذ بحضن السنين تفر ... وتكتم حتى الوداعْ

فمدت يديها ... فقلت ارحميني ظمئت وأسقيتُ نار الخداعْ

• • •

• فقالت : وكيف ؟

فقلتُ اطمئني سأكشفُ كلَّ الذى فى الخفاءْ

رحلتُ ... وزادى يقيني وظنِّي أفتش عنها بأفق المساءْ

وقلبيَ ناري ... ورحتُ أغني لعلِّيَ ألقى صدًى للغناءْ

ولكن لحنى ... تبعثر منى وذاب الصّدى فى فراغ الفضاءْ

* فقالت : وماذا ... ؟

فقلتُ اتبعيـــنى وإلا ارجعى للطريق القريبْ

ولا يخـدعنْك حُداءُ الظنونِ ولا وحشة الكوْن عند المغيبْ

فقلت :

وهبْتــك كل سـفينى وعمرى..ونفسى..فأنت الحبيبْ

فقلتُ :

أخاف اشـتعال أنيـنى إذاجَفَّ حقل الأمانى الخصيبْ !!!

* * *

* فقـالتْ :

غـدٌ خلف جَفْن الزمانْ فَفَتِّش عن اليـوم ياشاعرى

أتَحْصِدُ عُمْرَك قبـل الأوانْ لتجنىَ ما ليس فى الحـاضِر

فما لليـالى الحسانِ أمانْ ولا ريحَ فى الزمن الخـاسِر

* فقلتُ :

ققى : قد رفَضتُ الهوانْ غدى : جرسٌ دقّ فى خاطرى

* * *

* فقـالتْ ...

وإنى سأعفو خطـاكْ ولكن سَنَسْلُكُ أىّ طـــريقْ

وفى أى أفق سالـق رؤاكْ تشبُّ بقَيْـدك ألـف حريقْ ؟

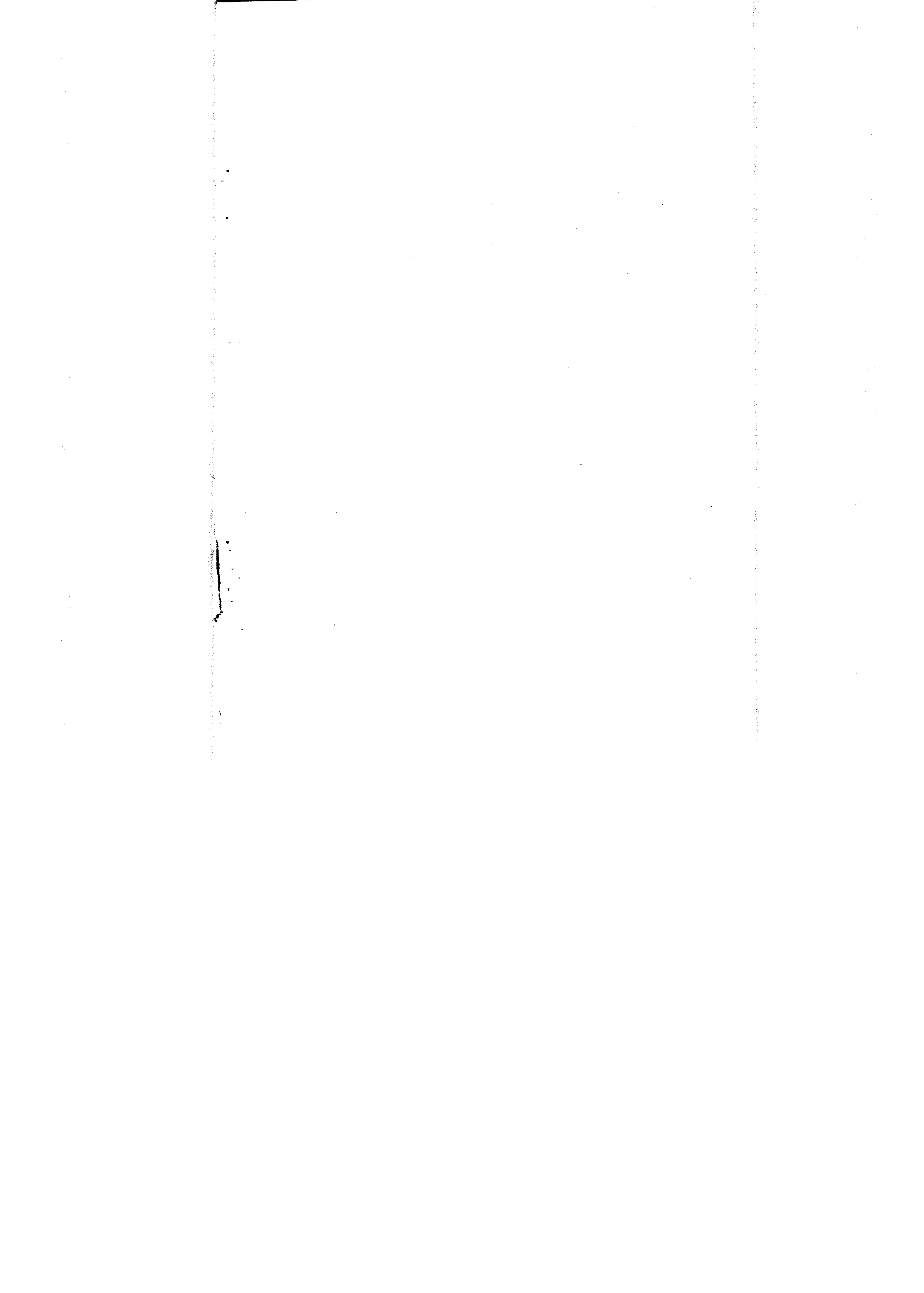
تجـدّدُ ذاتَك : تسـمى مناكْ من الخلد أشهى وأحلى رحيقْ

* فقلتُ :

الطريـقُ توارى هنـاكْ وخلف البحار يُضوّى البريقْ

القـاهرة سنة ١٩٧٥ .

رسالة إلى الواقف فى وجه التيار



رسالة إلى الواقف فى وجه التيار

.... حين وقفتَ بوجهِ التيارْ

لم تدركْ أنَّ الموج من الأعماق تدفَّقْ

وسفينتُنَا أدمنت الإبحارْ

وتبسَّمتِ الآفاق لتحتضن شراع الحب وأحلامَ الزَّوْرَقْ .

هل تتوقَّع ... يا هذا ... أنَّ أمانينا تغرَقْ ؟

ومن القلب ينابيع هوانا تنطلق وتخفُقْ !!!

ومن الروح نسجنا لفجر الآتى الورديِّ المشرقْ

وركبنا والشاطئ مدَّ ذراعيه ـ . ينادى أحبَابَهْ

وشدونا والموجُ يردِّد سِحْراً غانينا الجذّابَهْ

وحلمنا ... والمجداف شراع الآمال الوثّابَهْ

ومَضَيْنا ... والأمواجُ حوالينا ... تعلو ... تَعْلو ... !!!

... والشاطئ مازال بعيداً ... وبعيداً ... !!!

ورأيناك أمام الزورق حوتاً يفتح فكيه ...

... وعيناهُ مغاراتٌ وحشيّهْ !!!

* ماذا تفعل حوريات البحر ؟

ماذا نفعل نحن ؟

يبسَتْ فى شفتينا أزْهار الكلمات السحريّهْ

لم نبق سوى الآفاق الممتدة فى أغوار القَلْبْ !!!

وبقايا خطواتٍ فى عيْنَيْنا تدرك ... أين يكون الحبّ

وشعور وَرْدِىُّ الوجه يحطم كل الأسوارْ

وهوى فى الأعماق تعمّق فى فنِّ الإبحارْ

وأكاليل الشوق المزهرة بقلبينا لَيْلَ نَهارْ

• يا هــذا ...

لن تَغرق فى السرداب المجهولْ

حتى لو صَيَّرت المـاء أجاجًا أو جفَّفت النَّهرْ !!!

أو احرقتَ شِراع أمانينا فى قَلبِ البَحرْ

لن تَذبُلَ آمالُ القلبْ

لن تختنق الأنجم فى أفلاك الحبْ

لن تَصفرّ الشمس بقلبى أو ينعق فيه الجذبْ ...

وحديقتنا الأبدية لن تغتالها ضحكات الأزهَارْ

والباب ستفتحه أنت وينطلق التيارْ

والشمس ستسكب فى قلب الليل أشعتها الورديَّة

وتعود الخضرة تنزع من وجه الأفق شحوب الآلامْ

ويعود الزورق فى قلب النهر يصفق ... والموج يغنّى ...

... والقلب تبارك رحلتَه الأيامْ

وتقدم أنت إلى التيار الأعذارْ !!!

* ذلك أنك حين وقفت بوجه التيارْ

لم تُدْرِك أن الموج من الأعماق تدفَّقْ

وسفينتنا أدمنت الإبحارْ

وتَفَتَّحت الآفاق لتحتضن الضَّوء الأخْضَرْ

وترفرف فيها أزمنة الحُبّ وتَسْبَحُ فيها أحلام الزَّوْرَقْ

دمياط ١٩٧٥ م

الفارس والشمس

* الفارسُ يَرْكبُ ألفَ جَوادٍ للشَّمسِ
يَخضْن نجماتِ الحُبِّ ... يُغازِلها بالجَهْرِ وبالهَمْسِ
ويداعِبُ غيماتِ الشوق بتذكار الحاضر والآتى والأمسِ .
ويطيرُ ... يطيرُ يغنِّى أحْلامَ العرْسِ

• • •

لكن فى فَيْضانِ النُّــورِ الشَّمسُ غَرِيقَهْ
تبكى من كثرة ما شهدت من آلاءِ وَرِيقَهْ
فاضت بالنُّور وما شعرت أنَّ الروح طليقَهْ

يهـواها الأفق وتشعر أن النفس رفيقـه
وأنا من دون الناس لها قلبي صار حديقة

* * *

* لكن الشمس حواليها السور منيع ... ومنيع !!!
وفؤادي ينظر مشدوها والنظرات تضيع
يظما للنـور .. ونـور الشمس ينابيـع !!!
بقنـاة الحـرمان أسابيعا وأسابيـع
وأغانيـه السكرى من كفيه تضيـع
تتبخـر أشواقا وعـذابا ودمـوع
تتناثر في أفـق الوجد كآهات رضيـع
والشمس حواليها السور منيـع ومنيـع

* * *

لكن جواد الحب سيعبر سور الحرمان الذهبي
لن يرهب تجهم السور ولن يحذر إيذاء اللهب

فلديه إرادة قلبٍ مشبوبٍ لم يَشِبِ

ولديه معاولُ إحساسٍ مجنون الغضبِ

ولديه الريحُ يُسابقها من غير كلالٍ أو نصبِ

فتحطّمُ يا سورَ الحرمان الذهبي

* * *

ولتضحكْ من خلفك هالات الشمس الألّاقة

ولترقُصْ نبضات القلب الرّفراقة

وليَحْضُنْ قلب الفارس أشواقَهْ

فقريبًا ... تروى ضحكات الشمس سباقَهْ

وقريبا ... تشهدُ روح الشمس عِناقَهْ

وقريبا ... كل الأنجم تسكن أحداقَهْ

* * *

فالشمسُ هواها الدفءُ السّاري فى الاعماق

وهواها الحُلُمُ المقبِلُ فى زَمَن الأشواقِ

وهـــواها النُّـــورُ البـاسمُ فى الأحْداقِ

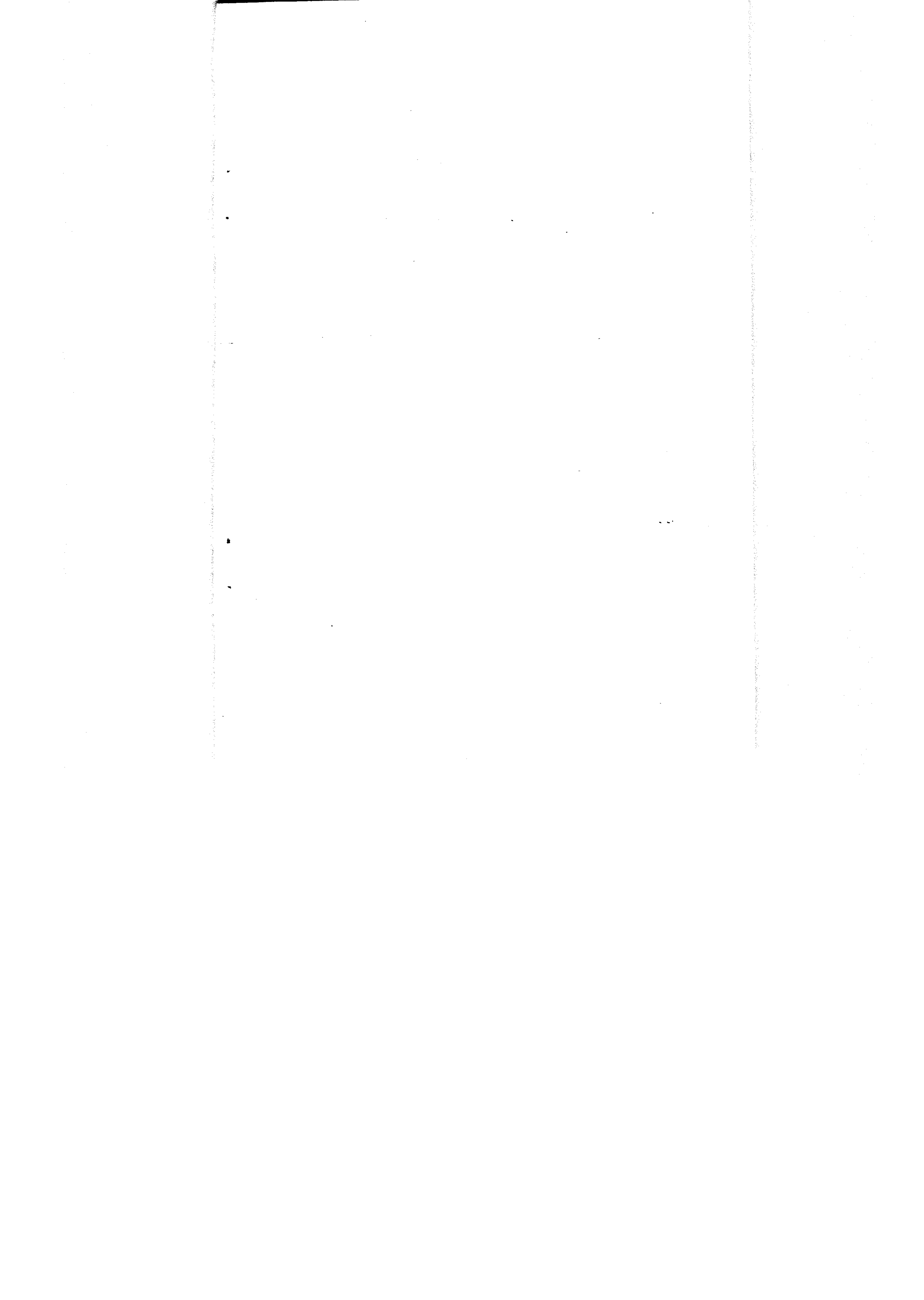
وهـــوا ها القلبُ الضَّاحِكُ فى الآفاقِ

يغْمُـــــر كل رياض الحب بلَحْنٍ دَفَّاقِ

يَسْرى فى الأُفْق بعيـدًا عَنْ ذُلِّ الأطْـواقِ !!!!

دمياط ١٩٧٤ م

الشعر بين القديم والجديد



الشعر بين القديم والجديد

« دراسة بقلم أ . د : عبد الحكيم حسان .
أستاذ الأدب المقارن والنقد بجامعة أم القرى —
الدراسات العليا »

لم يشهد تاريخ الشعر العربي من قبل مثل هذا الاحتدام في المعركة بين القديم والجديد الذي دارت رحاه في السنوات الأخيرة . فبالرغم من أن معركة حامية الوطيس حدثت في العصر العباسي وكانت من الأصالة والحدة بحيث كان لكل من أنصار القديم وأنصار الجديد فيها فكره وآراؤه في كل ما يتصل بالفن الشعري فإن المعركة الحاضرة تختلف عن تلك في شيء هام جعل الشعر العربي في العصر الحديث يواجه من الظروف مالا عهد له به من قبل ، وهو أن حركة التجديد في الشعر العربي الحديث ترتبط ارتباطا وثيقا بحركة التجديد في الشعر الأوربي ، وليست مجرد أصداء

للفكر الأوربى العام . صحيح أن الشعر العربى الحديث بدأ نهضته التى اكتملت على يد البارودى على أساس من إحياء التقاليد الشعرية القديمة بما تضمنته من أنماط فى الإبداع ومن نظم فى الصياغة وأساليب فى العرض وتقاليد فى التصوير والصناعة وتحديد لمواقف الشعراء من موضوعاتهم واختيارهم لمعجمهم حتى إن مفهوم الشعر كما حدده البارودى لا يكاد يختلف عن المفهوم المتوارث عن السابقين . ولكن الإحساس بوجود تراث شعرى آخر غير التراث العربى سرعان ما بدأ يفرض نفسه على حركة الشعر الحديث وهو إحساس بدا واضحا كل الوضوح عند شوقى الذى يعد رغم ذلك قطب الحركة الإتباعية فى الشعر العربى الحديث . كان شوقى مولعا بالتجديد فى الشعر ورأى فى هذا التجديد رسالة لابد لشاعر له مثل موهبته وإمكاناته أن يضطلع بها ، وأنه — كما يقول — « مسئول عن تلك الهبة التى يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه ، وأنى لا أؤدى شكرها حتى أشاطر الناس خيراتها التى لاتحد وتنفد » . لقد كان من هم شوقى أن يأتى من مدينة النور بقبس تستضىء به الآداب العربية كما نصحه الخديو ولكن

الذى يبدو فى ضوء ما حققه شوقى بالفعل أنه لا هو ولا الذين خرجوا من هذا القبس أكثر من توسيع التجربة الشعرية تحقيقا لدرجات أسمى من الإجادة فى إطار المفهوم التقليدى للشعر . لذلك جاءت جهود شوقى فى التجديد محصورة فى هذا الإطار . لم تكن دراسة شوقى للآداب الأوربية بعامة ولا الأدب الفرنسى بخاصة عميقة . فقد نظر إلى مختلف عصور هذه الآداب واتجاهاتها نظرة واحدة دون تفريق . فقد قرأ فى الأدب الفرنسى مثلا « لا فونتين » كما قرأ « لامرتين » و « موسيه » و « هوجو » وأخذ منهم جميعا دون أن يفرق بين اتجاهاتهم المختلفة فى الشعر . بل لقد اتصل وهو فى باريس بالشاعر « فرمين » أحد شعراء الرمزية الفرنسية دون أن يدرك أن لهذا الشاعر اتجاها فى الشعر يختلف عن اتجاهات أولئك الشعراء الذين أخذ عنهم . ولذلك انحصر فى جهود شوقى فى التجديد على إدخال أنماط شعرية جديدة فى السفر العربى ولكن فى إطار المفهوم التقليدى للشعر من حيث هو فن .

ولعل هذا هو الفرق الجوهرى بين هذه الحركة الاتباعية والحركة الابتداعية فى الشعر التى ظهرت منذ العشرينيات من هذا القرن . فقد

قدمت الحركة الأخيرة مفهوما غير تقليـدى للشعر وكان هذا المفهوم أهم موضوعات الخصومة الضارية بين شوقى بوصفه أبرز ممثلى الحركة الاتباعية وبين رواد الحركة الإبتداعية الذين عرفوا باسم جماعة الديوان وبخاصة العقاد — ويرتكز هـذا المفهوم بصفة عامة على المفهوم الرومانتيـكى للشعر ولعل أبرز ما يمثله تعريف الشاعر الإنجليزى « وردزورث » للشعر بقوله إنه فيـض تلقائى لمشاعر قوية تصبح موضوعا للتأمل من قبـل الشاعر حتى تهدأ وتختزن فى الذاكرة ثم تستعاد بعد ذلك بالتدريج فتولد فى العقل حالة عاطفية شبيهـة بتلك التى كانت من قبل موضوعا لتأمل الشاعر — وبذلك ينصرف الشعر عن التركيز على الموضوعات الخارجية كما أرادت له الحركة الاتباعيـة إلى التعبيـر عن تلك المشاعر والانفعالات التى يعانيها الشاعر أى يصبح تعبيـرا عن تجربة ذاتية . بهـذا المفهوم الجديد للشعر مضت الحركة الابتداعية لافى تزييف الحركة السابقة عليها فحسب بل فى إبداع شعرى جديد فى ضوء هذا المفهوم . وكان هذا أول تجديد لمفهوم الشعر فى تراثنا العربى وبداية لمحاولات متتالية فى هذا الإتجاه انتهت فى أيامنا

هذه بما يسمى « الشعر الحديث » (١) .

غير أن هذه الحركة الابتداعية شاركت الحركة الاتباعية السابقة لها في وجه من أوجه القصور فيما يتصل بالاستهداء بالتراث الأوربي في محاولات التجديد في الشعر ، وهو أن كلتا الحركتين لم تستوحيا التراث الأوربي المعاصر أنذاك بل استضاءتا بهذا التراث في عصوره التاريخية .

---

(١) تلافيا لما قد يحدث من خلط لابد هنا من التفريق بين « الشعر الحر » و « الشعر الحديث » . فالشعر الحر حركة عروضية أساسا نشأت في أحضان المذهب الرمزي — أو بعبارة أدق ازدهرت مع هذا المذهب — بوصفه للتحرر من قيود الأوزان التقليدية والتي عدت قيدا على انطلاق المشاعر وتموجها الطبيعي في الشعر . أما في العالم العربي فقد بدأت المحاولات الأولى المختلفة في هذا الاتجاه في أوائل العشرينيات من هذا القرن وكان المازني من أبرز روادها . وقد تعددت المحاولات في كثير من أنحاء العالم العربي إلى أن اكتملت حركة الشعر الحر كما نعرف الآن أو كادت على يد ما كثير في الثلاثينيات ولكن الحركة لم تكتسب رقوة دفعها الحقيقية إلا بعد أن شرحت نظريتها بعد الحرب العالمية الثانية وعلى يد نازك الملائكة بصفة خاصة سنة ١٩٤٧ . وكانت فترة ما بعد الحرب هذه هي التي شهدت ما يمكن أن يسمى باللحاق بمسيرة الأدب الأوربي المعاصر لأول مرة في العالم العربي . وبذلك عرفت حركة الشعر الحديث وتدورعت ووجدت في العالم العربي الجو الصالح لنموها . وحين كتب الشعر الحديث كتب في أوزان الشعر الحر كما كان يكتب في أوربا ومن هنا جاء الارتباط بينهما الذي يمكن أن يكون سببا في الاختلاط .

فكما قرأ شوقى « لافونتين » و « لامرتين » و « هوجو » فى الأدب الفرنسى قرأ العقاد وشكرى والمازنى « وردزورث » و « كولريدج » و « هازلت » و « شيلى » و « كيتس » وغيرهم من الرومانتيكيين الإنجليز. وكان كل من هؤلاء وأولئك ينتمون إلى تراث القرن التاسع عشر وما قبله مع أن الشعر الحديث الذى يشغل الشعراء والنقاد فى عالمنا العربى الآن انضمت معالمه بوصفه اتجاها شعريا فى أوربا مع بداية العشرينيات من هذا القرن حين كانت المعركة محتدمة بين الاتباعيين والابتداعيين فى مصر وبقية العالم العربى — وبعبارة أخرى فإن قصيدة « اليوت » « الأرض القفر » التى تمثل بداية الشعر الحديث فى أوربا وكتاب « الديوان » الذى يمثل بداية الحركة الاتباعية المعتمدة على النظرية الرومانتيكية الأوربية فى الشعر ظهرا فى وقت واحد تقريبا فلم يفرق بينهما إلا شهور قليلة من الزمن . وإذن فإذا كان شوقى قد فاته الإلتفاف إلى الحركة الرمزية فى الشعر التى عايشها فى فرنسا فقد فات العقاد الإلتفات إلى حركة الشعر الحديث التى ظهرت قوية فى الأدب الإنجليزى الذى كان المتكأ الأساسى للمحاولات التجديدية عنده ، وبذلك أفلتت المعاصرة من الحركتين جميعا .

* وبالرغم من أن ظهور « الشعر الحديث » بوصفه اتجاها شعريا لم يتم في أوربا إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فإن أسبابه المبكرة ترجع إلى ما بعد عصر النهضة الأوربية — فقد كان من أخطر النتائج التي أفرزها التقدم العلمي الهائل على أثر النهضة أن أفرط الإنسان الأوربي في التفاؤل بمستقبل هذا التقدم وأسرف في الثقة بالعلم وفي الإيمان بقدرته على حل كل مشاكل الحياة الإنسانية وكشف أسرارها . ومن ثم نشأ في حياة هذا الإنسان ما يمكن أن يسمى بالإنفصام في حساسيته أو في حياته الفنية — فقد رأى أن العلم وحده هو القادر على الوصول إلى الحقيقة وتحقيق المعرفة الصحيحة وأن كل ما يتوصل إليه بغير طرق العلم ومناهجه لا يمكن أن يكون من الحقيقة في شيء حتى لقد أقر الناس ما أقر العلم وأنكروا ما لم يقر . ولما كان العلم قد طور لنفسه لغته الإستدلالية العقلية الخاصة فقد تواطأ الناس على أن لغة العلم هذه هي النمط الوحيد من استخدامات اللغة الذي يمكن أن يوصل إلى الحقيقة وتحقيق المعرفة . وهكذا لم يبق أمام الشعر إلا أحد خيارين . فإما أن يمضي في تمسكه بدعواه أن في وسعه الوصول إلى ضرب من ضروب الحقيقة وتحقيق لون من ألوان المعرفة كما قرر

نقاده ودارسوه على امتداد العصور الخالية وأن هذه هى الوظيفة الأساسية له فلا يكون له مناص فى رأى الجماهير من اصطناع لغة العلم التى اعترف لها بأنها الوسيلة الوحيدة لتحقيق مثل هذه الغاية . أو أن يتمسك بلغته ذو التصويرية الإيحائية التى اعتادها منذ نشأته الأولى فلن يكون له مناص حينئذ من أن يشغل نفسه بشىء آخر غير الوصول إلى الحقيقة — دعواه الجمالية — بعد أن تخلى عن الوسيلة الموصلة إلى ذلك وهى اللغة المنطقية الاستدلالية — بهذا الانفصام بين الشعر والعلم بدأت أزمة الشعر فى العصر الحديث .

لقد أدى التشكيك فى العاطفة بوصفها وسيلة للوصول إلى المعرفة إلى نتائج بالغة السوء بالنسبة للشعر . فقد انتهى هذا التشكيك بالمقابلة بين ما هو علمى وما هو فنى نتيجة للمقابلة بين ما هو عاطفى و بإحلال كل ما هو من نتاج العاطفة والخيال من أخلاقيات وجماليات وقيم ومثل منزلة أدنى من منزلة الحقيقة العلمية . وفى مواجهة هذه مواجهة هذه الموجة الكاسحة للعلم اضطر الشعر إلى أن يتنازل عن بعض أرضه وأن يعلى من مكانة تلك التجارب الشعرية المرتكزة على العقل والواقع وأن يغض من قيمة التجارب

القائمة على العاطفة بوصفها غير يقينية لأنها صادرة عن الخيال . على هذه المبادئ بشكل إجمالي قام أول مذهب أدبي منظم في أوربا وهو مذهب « الكلاسيكية الجديدة » الذي آمن بالعقل وجعله مصدرا للإبداع الفني ومال إلى استخدام لغة تجريدية استدلالية تشبه لغة العلم في دقتها وضبطها وتحديد دلالاتها . أما استثارة العاطفة — وهو عنصر يعترف هذا المذهب بأن لا غنى عنه في الشعر — فقد وكل أمره إلى البديهة والوزن وضروب من الصناعة عدت بمثابة الإضافات إلى جوهر التجربة الشعرية — ولما كانت قراءات شوقي في الأدب الفرنسي قد اتجهت أكثر ما اتجهت إلى شعراء هذا المذهب فقد انعكس كثير من آثار المبادئ السابقة — كالنزعة العقلية واللغة الاستدلالية والعناية بالصنعة وغير ذلك — على سفره وبخاصة ذلك الذي يمثل أبرز محاولاته التجديدية .

ظل أمر الشعر الأوربي ملكا للمذهب الكلاسيكي الجديد هذا إلى أواخر القرن الثامن عشر حين اكتملت حركة التحول في الذوق الأوربي عن هذا المذهب فحل محله بالتدريج « المذهب الرومانتيكي » الذي سيطر

على مقدرات الشعر منذ أوائل القرن التاسع عشر . وبالرغم من التباين الواضح بين مبادئ هذين المذهبين فإن التحول فى وضع الشعر الأوربى لم يكن حاسما . فبالرغم من أن هذا المذهب الجديد أعلى من شأن الخيال ـ بدلا من العقل — بجعله مصدر الإبداع الفنى ومن أنه قدس العاطفة وجعلها وسيلة للمعرفة الحقيقية ومن أن الرومانتيكيين ـ وبخاصة فى انجلترا ـ قاموا بمحاولات جادة لاصلاح لغة الشعر فإن المذهب الرومانتيكى لم يستطع التخلص من ازدواجية « التراث » و « الموضوع » رغم الصلات الوثيقة التى أقامها بينهما وكان هذا المذهب الرومانتيكى هو الذى أوحى إلى الحركة الإبتداعية فى الشعر العربى بمبادئها واتجاهاتها تلك الحركة التى قادتها جماعة الديوان بعد غروب شمس هذا المذهب بما يزيد على سبعين عاما . ولم يكد ينتصف القرن التاسع عشر حتى عادت سيطرة النزعة العالمية من جديد معتمدة على تلك الإنجازات الهائلة التى حققها العلم فى تلك الفترة . وقد مهد ذلك لظهور المذهب الواقعى والمذهب الطبيعى اللذين جعلا من الفن بعامة إداة للاصلاح الاجتماعى فتحول الأدب إلى وصف لمواقف موضوعية يقاس على الوصف العلمى موقعا وغاية ولغة . وأمام هذا الموجة

العاتية من المد العلمى حدث الجزر الرومانتيكى . ولكن هذا الجزر لم ينته إلى انحسار كامل . فمع بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر أو نحو ذلك هب الخيال ليتدارك أمر الشعر الأوربى ، وكان الشاعر الأمريكى المشهور « أدجار ألن بو » هو ممثل هذه الانتفاضة الجديدة التى التقطت الخيط من الرومانتيكيين وسرعان ما تلقى الشاعر الفرنسى «بودلير» بواكير هـذا الاتجاه فجعلها أساسا للمذهب الرمزى الذى ما لبث أن أزدهر فى فرنسا . وقد ركز الرمزيون على إصلاح لغة الشعر ونجحوا فى إرجاع قيمتها الإيحائية إليها لكى تصبح قادرة على التعبير عن دقائق الرؤية الشعرية المسرفة فى الذاتية . ولكن إسرافهم فى هـذا الاتجاه أصاب لغتهم بقدر غير قليل من الغموض وألقى على رؤيتهم غشاوة من الضبابية مما أعجزهم عن التواصل الحميم من قطاع عريض من جمهور الشعر . وقد تطور هذا الانسحاب من المواقف العقليـة والجنوح إلى المـواقف العاطفية فى الشعر من الرمزية إلى التصويرية إلى ما فوق الطبيعية مما أدى إلى أن يظهر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين شعر استبعدت منه العناصر العقلية جملة فانغمس فى فى نزعة عاطفية مسرفة . ولكن هـذه الفترة نفسها شهـدت رد فعل لهـا

تمثل فى « البرناسية » أو مذهب الفن للفن الذى حرص على أن تتوافر للشاعر كل عناصر الخبرة والعلم والأصالة ، بحيث يكون انتاجه ذا أثر فكرى واضح . أى أن هذا المذهب — على عكس الرمزية — ربط بين الشعر والعلم بكل ما يستتبعه ذلك من جو من دور العاطفة وانصراف عن اللغة الإيحائية ، حتى لقد بلغ الاستقطاب بين هذين الاتجاهين المتعارضين غايته فى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين .

فى جو هذا الاستقطاب فى الحركة الشعرية الأوربية نشأ الشعر الحديث الذى بشرت به قصيدة « إليوت » المشهورة« الأرض القفر » . لم يكن فى وسع هذا الاتجاه الشعرى الجديد أن يسير فى ركاب مذهب الفن للفن بنزعته العلمية وارتكازه على مبادئ وصفية وتجريبية و بلغته الاستدلالية وجريه وراء الحقيقة الموضوعية باعتبار أن الاسراف فى ذلك من شأنه أن يشوه النظرة التى نظر عليها الشعر . ولكنه من ناحية ثانية لم يكن فى وسعه أن يستسلم للعاطفة المسرفة والضبابية القائمة التى خلقتها التصويرية وما فوق الطبيعية . لقد أحس الشعر الحديث بأن عليه أن يخلص لفطرة

الشعر من ناحية وأن يفى بمتطلبات الحساسية الحديثة من ناحية ثانية .
فالتنكر لفطرة الشعر إغفال للطبيعة والتغافل عن سيطرة العلم إغفال للواقع .
لم يكن أمام الشعر الحديث إلا أن يبدأ من الأصول التى قامت عليها كل الرومانتيكية والرمزية وأن يصحح أخطاءهما ويكمل ما عجزتا عن إكماله .
لقد كانت مهمة الشعر الحديث أساسا أن يرد العناصر العقلية إلى الشعر العاطفى وأن يصحح أخطاء الرمزيين الفرنسيين فى طريقة استخدامهم للغة الإيحائية . أما العناصر العقلية من كان لها أن تتحقق فى الشعر إلا عن طريق القيم والمثل التى عرضتها روح العلم للاهتزاز ووضعتها موضع التساؤل فافقدتها فعاليتها بين الناس . ولذلك أصبح على الشاعر الأوربى الحديث أن يبتدع قيمه ومثله بنفسه وأن يحاول توصيلها إلى قرائه . ومن هنا جاءت صفة التركيز على الخاص لا على العام فى الشعر الحديث ، وفردية الرؤية الشعرية وخصوصيتها لدى الشعراء . لقد كان من أهم الانجازات التى حققها « إليوت » للشعر الأوربى الحديث أن أرجع دور العقل فى الشعر وجهد فى شعره أن يوحد بين الفكر والعاطفة وأن يحول الملاحظة الفردية

إلى حالة عقلية وأن يحقق إدراكا حسيا مباشرا للفكر من خلال الشعور .

وإنما قام « إليوت » بهذه الانجازات لأن القيم والمثل التي يحاول الشاعر الحديث توصيلها إلى قرائه ليست إلا تجريدات عقليــة أو بعبارة أخرى أفكارا . ولكن هذه التجريدات العقلية أو الأفكار لا يمكن التعبير عنها في الشعر بلغة استدلالية منطقية لأن هذه لغــة العلم والفلسفة حيث تبـقى هذه الأفكار على حالتها التجريدية حتى بعــد التعبــير عنها . أما إذا أريد التعبير عن هذه الأفكار في الشعر فلابد من تجسيدها بعد أن كانت مجردة ومن تخصيصها بعد أن كانت عامة وذلك ليدركها القارئ بحسه لا بفكره .

ومن هنا يأتي الجــانب الثاني من مهمة الشعر الحديث وهو الاهتمام باللغة الإيحائية غير المباشرة بوصفها وحدها اللغــة القادرة على تجسيــد الأفكار والتعبــير عن الرؤى الشعرية . لذلك وظف الشعراء المحــدثون الأسطورة واستخدموا الرمز والصور الشعرية بطريقتهم الخاصة ولجأوا إلى السخرية والمقابلة التصويرية وحرصوا على مناسبة الوزن والايقاع والعبارة الدرامية باعتبــار كل ذلك وسائل للــزج بين عنصرى الفكر والعاطفــة من ناحية

ولتجنب المواجهة الصريحة مع أوضاع ينكرونها ولكنها مستقرة ومسيطرة.
وعلى هذا فالشعر الحديث يقوم على الفكر والحس معا ويحرص على أن
يوجد هذان العنصران فيه ممتزجين لا متجاورين. لأنهما يكونان رؤية
شعرية تعد الوحدة من أهم صفاتها. ظلت حركة الشعر الحديث فى
أوربا هذه مهملة من جانب شعرائنا وتعاونا على امتداد نحو ثلاثين عاما
من نشأتها فى أوائل العشرينيات إلى بداية الخمسينيات. ولكن الظروف
كانت قد مهدت الطريق أمامها نحو الشرق العربى ولغيره من أنحاء العالم.
فقد كان من آثار الحرب أن أيقظت اهتمام الناس فى كل مكان بما كان
يجرى من أحداثها فى أى ركن من أركان المعمورة مما ولد إحساسا بوحدة
مصير البشرية وبأن ما يجرى حول الإنسان له تأثيره المباشر على حياته
مما يدفعه إلى معرفته ورصد حركاته واليقظة إلى ايقاع الحياة بصفة عامة
من حوله. وقد غذت الثورة العلمية والفنية فى وسائل الاتصال هذا
التطلع إلى المعرفة وأمدته بما كان يجرى فى العالم أولا بأول فى مختلف
شئون الحياة. وهكذا عرف مثقفونا وشعراؤنا ونقادنا بصفة خاصة كيف

يفرض الشعر من حولهم بعد أن كانت وسيلتهم لمعرفته قاصرة على قراءة تاريخه . ولعل مما ساعد على سرعة انتقال حركة الشعر الحديث هذه إلى الشرق العربى ذلك التطور فى عروض الشعر العربى الذى بدأت تجاربه الأولى واستوى على سوقه خلال الربع الثانى من القرن العشرين ، وبذلك وجد الشعر الحديث الأداة التى يستطيع الاعتماد عليها معدة سلفا . وهكذا أصبح الشعر الحر قرينا للشعر الحديث بعد أن ظل حركة عروضية خالصة طوال ربع القرن المشار إليه آنفا . وهنا نحس أن سؤالا يفرض نفسه ، وهو : هل كان ظهور حركة الشعر الحديث فى العالم العربى مجرد اقتباس ونقل ومحاكاة لما يجرى فى الغرب ؟ والقضية فى الواقع لم تكن بهذه البساطة . فالتواصل بين الشعوب لا يكفى وحده لقيام علاقة التأثير والتأثر بينهما . فلابد للتأثر من أن يكون معدا لتلقى التأثير . فالتأثير ليس أمرا سلبيا يقوم على مجرد التلقى بل هو أمر إيجابى يتطلب من الاستعداد والقدرة على التقبل والهضم والتمثل ما يتيح للظاهرة الجديدة أن تحيا حياتها الطبيعية فى بيئتها الجديدة وهى حياة أن تختلف قليلا أو كثيرا عن حياتها الأولى نظرا الظروف لا يمكن أن تتوافق تمام التوافق فى بيئتين مختلفتين.

ولهذا فقد أصبحت حياة الشعر الحديث فى العالم العربى مستقلة فى تطورها ونموها عن حياته فى الغرب رغم اشتراك الحركتين فى المبادئ العامة لأن ظروف التطبيق تفرض على هذه المبادئ قدرا من التنوع رغم وحدتها . بل إننا لنجد أن الأمر لم يقف عند حد اختلاف ممثلى حركة الشعر الحديث عندنا عن أقرانهم من الأوربيين بل تعداه إلى أن يختلف أولئك فيما بينهم فى مقدار التقيد بهذه المبادئ والتحرر منها بحيث أصبح لكل منهم طريقته الخاصة فى الإسهام فى هذه الحركة العامة . وليس هذا بالأمر المستغرب لأن الحركة لاتزال فى بدايتها فى العالم العربى ولم تصل بعد إلى مرحلة الاستقرار المسلم به ، وليس أول على ذلك من أن الجدل المحتدم بيننا حول « الحداثة » لم يقف عند مشروعيتها أو عدم مشروعيتها بالنسبة لشعرنا العربى ، بل تعدى ذلك إلى مفهوم الحداثة نفسه وهو ما يمكن أن يلمس لما لا يقبل الخطأ لا فيما يتحدث به المتحدثون عنها بل فيما يكتبه المؤلفون أيضا . من هنا كان من الطبيعى أن يعمد كثير من شعرائنا إلى أن تكون له طريقته الخاصة فى المشاركة فى هذه الحركة التى تبقى لها مع ذلك سمات عامة تضمن لها الوحدة .

•• هذه خواطر ثارت فى ذهنى عندما قرأت المجموعة الشعرية « المرايا وزهرة النار » للزميل والشاعر الدكتور صابر عبد الدايم . وقد جمع الشاعر فى قصائده التى تتكون منها المجموعة بين الرؤية المستقلة وبين السيطرة على الأداة ومن هنا جاء ذلك الإحساس الذى يتولد فى نفس القارئ من ضرورة قراءة القصيدة من أولها إلى آخرها . وربما تتميز المجموعة أكثر ما تتميز بالتنوع فهى تجمع بين القديم والجديد وبين العمودى والحر وبين الرمز والتصوير وتمزج بين التاريخ والحياة وبين الذات والمعاصرة — فالشاعر يعمد إلى الرمز حين لا يريد المجابهة بالإنكار وحين يغرق الهمس فى احتجاجه على الجهد وهنا تكتسى القصيدة غلالة من الغموض يحدد الشاعر كثافتها بدقة . فهو يقول فى قصيدة بعنوان « سباق » :

سيارتى تعدو برغم إشارة حمراء قالت : قف هنا

ومرقتُ لا أحنى خطاى إلى إشارات المرور

كان بى مس من الجن المغامر

عرش بلقيس يحث خطاى

من قبل ارتداد الطرف احضره

لا تخذ الكواكب موطنا .

لكن أراك وقفت عند المنحنى

لم تعبري السور الحديدى الذى عاقت يداه سباقنا

لم تنفذى خلف الرياح وتصمرى ظل النبات وتعبرى آلامنا

. . الخ .

ولكن الرمز يشف أحيانا عما وراءه إذا كان موقف الشاعر يتسم بالأمل والتفاؤل ولا يجنح إلى الإنكار رغم إدراكه لما ينطوى عليه موقفه من مصاعب . يقول فى قصيدة « الفارس والشمس » :

الفارس يركب ألف جواد للشمس

يحضن نجما الحب يغازلها بالجهر وبالهمس

ويداعب غيمات الشوق بتذكار الحاضر والأمس

ويطير ... يطير يغنّى أحلام العرس

• لكن فى فيضان النور الشمس غريقة

تبكى من كثرة ما شهدت من آلاء وريقة

فأحنت بالنور وما شعرت أن الروح طليقة

يهداها الأفق وتشعر أن النفس رقيقه . .

وسواء غمض الرمز كما فى الأبيات الأولى أو شق كما فى الأبيات الثانية فإنه يتسم فى القصيدتين بالاطراد لأن بناء كل منهما يقوم على الرمز الذى يسرى فى القصيدة من أول بيت فيها حتى آخر بيت . ولذلك ظل المتحدث من المخاطبة فى القصيدة الأولى هى هما لم يتغيرا إلى آخر القصيدة كما ظل الفارس هو الفارس والشمس هى الشمس إلى آخر القصيدة ، رغم اختلاف القصيدتين من حيث كثافة الرمز وشفافيته .

• وقد يلجأ الشاعر أحيانا إلى السخرية وإن كان لا يقبل عليها ذلك الإقبال الذى يجعل منها ظاهرة فى هذه المجموعة . والسخرية أداة من أكثر أدوات التعبير شيوعا فى الشعر الحديث حين ينكر الشاعر قيم مجتمعه وأوضاعه ويحس أن ليس فى وسعه أن يغير ما ينكر . وإنما يلجأ إلى السخرية لأنها لا تصرح بالافكار وإنما تتضمنه فهو ينكر ضمنيا ويغير صراحة كما يبدو . يقول الشاعر :

ولا تسأليني

لماذا انصهرت بنار الشموس

فقد علمتني دروبك

أن الخديعة لب الذكاء

وأن التحايل ظل الثراء

وأن التسلط حصن الإباء

وأن المروءة أفق الغباء

وأن التكاشف طفل الهباء

وأن النور الذى يتخطى الرقاب

وأن الشريف الذى فى يديه الخراب

ومهما يكسر كل المرايا

ويسرق ضوء المنارات فهو المجاب .

• ويستدعى الشاعر التاريخ أحيانا يستعين به على توضيح رؤيته للحاضر ولكن استدعاء التاريخ عنده لا يكون إلا إذا كان الحاضر ذا صلة ما بالتاريخ

ولذلك يجئ الاستدعاء طبيعيا محققا لما يراد منه من تأثير . بل إن الصلة بين التاريخ والحاضر ليتبدو ويتفقه عند الشاعر لما يعمد إليه أحيانا من اكتشاف وسيلة لغوية تشير إلى هذا الارتباط يستغلها الشاعر بنجاح توثيق هذه الصلة ومضاعفة تأثيرها على القارئ . ومن تلك الوسائل اللغوية التى اكتشفها الشاعر واستغلها استغلالا حسنا اسم « سليمان » فى قصيدة الشهيد :

يا سليمان أأقبلت مع الطير وشاهدت مواويل الحيارى

أحرف مكسورة الإيقاع ...

... فى دوامة العصر وفى وجه الزمان الصخرة ما زالت تدور

والمرابون أضاعوها على كل الجسور !!!

بعثروها فى سراديب اللغات !!!

أطعموا الحيتان منها والصقور !!!

• • •

وإلينا جئت من ذاكرة النار دما تسكن فيه كربلاء

جئت فى عصر به سيان لون الورد أو لون الدماء

جئتنا فى زمن الرعب واطلقن رصاص البدء ...

... فانجابت سحابات الحكاية .

فامتط الآن جواد الريح واعبر حاجز التيه وهدم كل

أسوار الوصايه

• وإذا كان استدعاء التاريخ يكشف عن ارتباط الرؤية الشعرية لدى الشاعر بالتراث فإن هذا الارتباط بالتراث ليتجلى فى أدائه التعبيرية بما يقدر من اقتباسات وإشارات إلى التراث — فالشاعر كثيرا ما يقتبس من القرآن الكريم ويحرص على أن يكون الموقف الذى تكشف عنه الآيات المقتبسة مما يعين على التهيئة الشعورية لدى القارئ لما بين جو الاقتباس وجو القصيدة من توافق . فالقسم القرآنى فى صدر الأبيات التالية من شأنه أن يذكر موقف الشاعر الذى تفصح عنه الأبيات التالية للقسم حتى لا يعود ذلك الموقف موضوع انكار أو عجب :

« والليل وما وسق »

« والقمر إذا اتسق »

إنى راكب طبقا عن طبق

راحل فى زمان القلق

قادم من عصور الترق . . الخ . .

وقد يكتفى الشاعر بالاستهداء بالاستعمال القرآنى بدلا من الاقتباس الصريح :

هذه الأرض على زنديك تهتز ...

... وفى عينيك تخضر ...

... وفى كفيك تربو ...

ويأتى هذا الاستهداء كما نرى سلسا طبيعيا كما لو كان على غير وعى من الشاعر . أما الاقتباس فيتم عادة عن وعى لأن الشاعر إنما يعمد إليه لتحقيق غاية محـددة وكل ما يطلب من الشاعر فى هـذه الحالة أن يأتى بالاقتباس فى مكانه الصحيح . ففى الأبيات التالية اتخذ الشاعر من شعراء زمانه موقف اعتمد فيه على الآيات الأخيرة من سورة الشعراء وكأنه يريد

أن يقارن بين هؤلاء الشعراء والشعراء الذين ورد ذكرهم فى السورة الكريمة .

ولهذا جاء الاقتباس لبعض هذه الآيات فى مكانه الصحيح :

لم توصد أبوابك إلا فى وجه الشعراء

فالشعراء تراموا بنبال الحرف العمياء

واقتتلوا فى ساحات الكلمات الجوفاء

« يلقون السمع وأكثرهم » مداح هجاء

ومن سورة الأنبياء :

« ما يأتيهم من ذكر من ربهم » وضاء

« إلا استمعوه وهم » من الصخر سواء

• بل إن ظاهرة الاقتباس عند الشاعر لتتعدى القرآن الكريم إلى الشعر .

وهو فى اقتباس الشعر ينتقى الأبيات ذات الرنين الخاص المناسب لايقاع

القصيدة وجوها الشعورى . يقول فى قصيدة « التائه »

والرصاصات تنادى

قف مكانك

لا تحرك بالمنى الانسانك

هل تريد النار تجتاح زمانك

قف مكانك

وأنا أشهد صوت الجد فى قلب المنارات القديمة

« سأحمل روحى على راحتى   وألـقى بهـا فى خضم الردى

فأما حيـاة تسر الصـــديق   وإما ممات يغيـظ العدا »

فبالرغـم من أن البيتـين الأخيرين — كما أشار الشاعر إلى ذلك — للشاعر الفلسطينى عبد الرحيم محمـود من الشعر العمودى فإنهمـا وقعا فى مكانهما الصحيح فى قصيدة من الشعر الحر فالموضوع مشترك وهو فلسطين والمعانى متسقة واسم الشاعر الفلسطينى الذى يعرفه قطاع كبـير من القراء حتى ولو لم يشر إليه الشاعر صراحة يضفى على الاقتباس قدرا غير قليل من المناسـبة . وقد آثر الشاعر فى بعض قصائد المجموعة أن يختمها بأبيات وردت فى القصيدة ذاتها كما فى قصائد « الجبل » و « الأزهر والطوفان » و « الشهيد » وكأنمـا يريد الشاعر بهـذه الأبيات أن تكون بمثابة ما

يسمى « بيت القصيدة» حيث يكن فحوى القصيدة وتتركز بؤرة انفعال الشاعر التى يريد أن يدفع بها إلى حساسية القارئ .

• و بالرغم من وجود بعض القصائد الذاتية فى هذه المجموعة — العمودية من حيث الوزن التقليدية من حيث الرؤيه الشعرية — فإن أكثر قصائد المجموعة من الشعر الحديث . ولعل الشاعر لم يعمد إلى تلك القصائد التقليدية إلا لينفى عن نفسه صفة المذهبية التى تنزلق أحيانا إلى التزمت والعصبية سواء أكانت هذه المذهبية تقليدا أم تجديدا . وربما أراد الشاعر أن يبين بهذه القصائد التقليدية أن ايثاره الشعر الحديث لم يكن لمجرد الرغبة فى التخفف من قيود الشعر القديم كما يصنع كثير من المتعلقين بذيل الشعر الآن لأن ما فى الشعر الحديث من حرية ينطوى على مصاعب ومسئوليات جسام وهذا هو شأن الحرية الحقيقية دائما . فالشعر الحديث نمط من أنماط التعبير الشعرى يجمع بين المعرفة والفن ويقوم على العقل والخيال ويقدس الفكر والعاطفة ويؤمن بالحرية والالتزام . وهو بذلك يعد محاولة للرجوع إلى الينابيع الأولى لفطرة الشعر قبل أن تتفرق به السبل عن سبيله بهدف إشباع الحساسية الفنية للانسان الحديث .

د . عبد الحكيم حسان

الشاعر

- أستاذ مشارك بقسم الأدب بكلية اللغة العربية — جامعة أم القرى
- دكتوراه فى الأدب والنقد مع مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر
- عضو اتحاد كتاب جمهورية مصر العربية
- رئيس مجلس إدارة مجلة « القافلة الجديدة » المصرية
- ورئيس مجلس إدارة جمعية الإبداع الأدبى والفنى بمحافظة الشرقية بمصر

•• أصدر عدة كتب نقدية ودراسات أدبية منها :

— محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٤ م

— مقالات وبحوث فى الأدب المعاصر، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٣م

- فن كتابة البحث الادبي والمقال بالاشتراك مع د / محمود داود ، القاهرة ١٩٨٢ م
- الشعر الأموى فى ظل السياسة والعقيدة القاهرة ١٩٨٣ م .
- أصدر ثلاثة دواوين شعرية :

• نبضات قلبين عام ١٩٦٩ م مطبعة الموسكى بالقاهرة .

• الحلم والسفر والتحول عام ١٩٨٢ م . « قطاع الآداب والفنون سلسلة مواهب » .

• المسافر فى سنبلات الزمن ١٩٨٣ م . مطبعة الأمانة بالقاهرة .

• فاز بكثير من جوائز الشعر الأولى فى مصر والعالم العربى .

• نشرت قصائده ومقالاته وحواراته الثقافية فى المجلات والصحف المصرية والعربية ... مثل :

* مجلة الشعر . ومجلة إبداع . والثقافة . والأزهر . والهلال . والأديب بلبنان . والمجلة العربية والمنهل بالسعودية . ومجلة القاهرة المصرية

وفى جريدة الأهرام . والأخبار . والرياض . والجزيرة . والندوة . بالسعودية .

* والشرق الأوسط ، والمسائية . وجريدة الوطن بعمان .

وجريدة : الأنباء الكويتية . ومجلة : القافلة الجديدة المصرية .

فهـــرس

صفحة

مطبعة دار الكتب ١٠٣٠٩ / ١٩٨٧

رقم الإيداع ٢٩٢٤ / ١٩٨٨
الترقيم الدولى ISBN 977-01-1732-3